روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

125

كرة النار

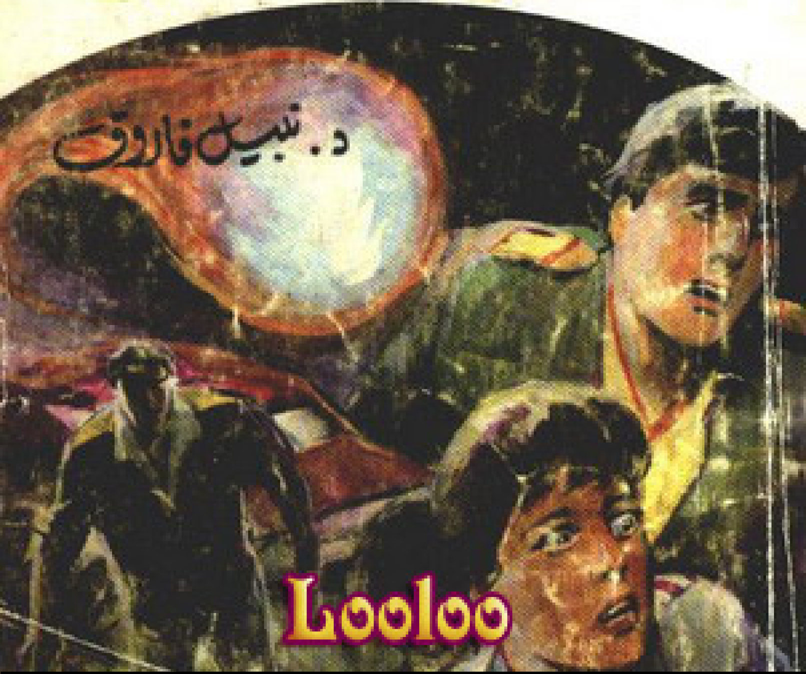

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - الهدف ..

تردَّد أزيز خافت ، داخل المصعد الأسطوانى الشفاف ، لمبنى المخابرات العلمية المصرية ، وهو يهبط بالمقدَّم (نور) إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، وانبعث داخله صوت معدنى رتيب ، يقول فى آلية :

- برجاء الثبات فى موقعك ؛ لبدء إجراءات الفحص ، وتحديد الهوية .

اتخذ (نور) وقفة عسكرية ثابتة ، وهو يتطلَّع إلى دائرة من الضوء الأخضر ، فى منتصف الباب الشفاف تمامًا ..

وفى لحظة واحدة ، انبعثت عشرات من خيوط الأشعة الليزرية الدقيقة ، باللونين الأحمر والأزرق ، وراحت تجوب جسد (نور) فى سرعة مدهشة ، وكأنها تحدُّد مقاييسه بمنتهى الدقة ، فى نفس اللحظة التى راحت فيها دائرة الضوء الأخضر تدور حول نفسها ، وتتغيَّر ألوانها من المركز إلى الأطراف ،

عبر مجموعة من ألوان الطيف ، قبل أن تتوقف عند اللون البنفسجي ، وينبعث منها شعاع ليزرى بالغ الدقة ، فحص بصمة قزحية (نور) فى جزء من عشرة أجزاء من الثانية ، عاد بعدها ذلك الصوت المعدنى الرتيب ، يقول بنفس الآلية :

ـ تم التحقق من الهوية .. المقدم (نور الدين محمود) .. الفئة (١) .. الملف سرى للغاية .. القائد الأعلى فى انتظارك منذ دقيقة وسبع ثوان .

مع آخر الكلمات الآلية ، توقف المصعد فى ذلك الطابق ، الخاص بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وانفتح الباب الشفاف ، فى نفس اللحظة التى أضىء فيها الممر ، الذى يقود إلى حجرة القائد الأعلى ، فتقدم (نور) نحو باب الحجرة ، بخطوات عسكرية ثابتة قوية ، وتوقف أمامه مباشرة ، فانبعث خيط آخر من الليزر ، راح يفحص ملامحه فى سرعة ، قبل أن يقول صوت آلى آخر :

ـ المقدم (نور الدين محمود).. مسموح بالدخول .

كان يشعر بشىء من الضجر والتوتر ، مع إجراءات

الأمن المبالغة ، التى تضاعفت مرتين ، منذ تسلم القائد الأعلى الجديد منصبه ..

وفى هدوء ونعومة ، ودون أدنى صوت ، دارت ضلفتا الباب المعدنى على مركزيهما ، وبدت الحجرة الواسعة أمام (نور) ، فى حين نهض القائد الأعلى الجديد من خلف مكتبه ، وهو يقول بابتسامة هادئة ، بدت خاوية تماماً من أية انفعالات :

ـ تفضل أيها المقدم .. إننى بانتظارك .

كان هناك رجل آخر فى الحجرة ، أشيب الشعر تماماً ، كث الحاجبين ، فى أوائل الخمسينات من عمره ، رمق (نور) بنظرة صارمة ، تخلو من الود ، وانقلبت شفته السفلى فى شىء من الامتعاض و (نور) يدلف إلى الحجرة ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيدى .. لقد وصلت فى موعدى تماماً ، ولكن إجراءات الأمن الجديدة استغرقت .....

قاطعه القائد الأعلى ، فى شىء من الحزم :

ـ أعلم هذا أيها المقدم .. لا داعى للاعتذار .

لم ترق هذه المقاطعة لـ (نور) ، إلا أنه لم

يعترض ، وإنما تقدَّم حتى بلغ مكتب القائد الأعلى ، وذلك الأشيب يتابعه ، بنفس الصرامة والامتعاض ، حتى أدَّى التحية ، قائلاً :

ـ المقدَّم (نور الدين) فى خدمتك يا سيِّدى .

عقد القائد الأعلى الجديد كفيه خلف ظهره ، ورمق (نور) بنظرة فاحصة طويلة ، قبل أن يقول فى حزم واضح :

ـ كان ينبغى أن نلتقى ، منذ اليوم الأوَّل لتسلمى العمل هنا أيها المقدَّم ، خاصة وقد أوصانى السيِّد رئيس الجمهورية بك شخصيًا ، ولكننى رأيت أن أعيد تنظيم الإدارة أوَّلاً ، قبل أية مقابلات .

غمغم (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى يا سيِّدى .

عاد القائد الأعلى يرمقه بنظرة فاحصة طويلة ، ثم أشار إلى الأشيب ، قائلاً :

ـ الدكتور (جلال) .. رئيس مركز الأبحاث العلمية الجديد .

التفت (نور) إلى الرجل ، قائلاً باحترام :

ـ تشرفنا يا سيِّدى .

ولكن الدكتور (جلال) قلب شفتيه ، فى امتعاض أكثر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أنت إذن ذلك الصبى ، الذى وشى برئيسيه ، وتسبَّب فى عزلهما ومحاكمتهما !

التقى حاجبا (نور) ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ لست صبيًا يا دكتور (جلال) .. من الناحية العمرية على الأقل ، ثم إنه من المؤكَّد أننى لست واشيًا ، بل رجل مخابرات ، يدين بالولاء لهذا الوطن ، ويسعى لأمنه وأمانه وسلامته ، ولمنع كل من يحاول الإساءة إليه ، مهما كان منصبه أو موقعه .

قال الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ هل تعنى أنك مستعد لتكرار الأمر نفسه معى ، ومع قائدك الأعلى الجديد ، لو اقتضى الأمر ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ودون أدنى تردُّد .

احتقن وجه الدكتور (جلال) ، وهمَّ بالنهوض من مقعده فى حركة حادة ، ولكن القائد الأعلى الجديد أشار إليه إشارة صارمة ، وهو يقول :

ـ المقدَّم (نور) لم يخطئ .

هتف الدكتور (جلال) ، فى غضب مستنكرًا :

ـ أى قول هذا ؟! ألم ..

بتر عبارته بغتة ، مع تلك النظرة النارية ، المطلة من عينى القائد الأعلى ، ثم تراجع إلى مقعده فى بطء ، وهو يهمهم بعبارات غاضبة ، وأشاح بوجهه فى حنق ، فى حين تلاشت الصرامة من ملامح القائد الأعلى بغتة ، وهو يدير عينيه إلى (نور) ، قائلاً :

ـ دعنا من كل هذا ، ولنتحدث عن العمل أيها المقدم .

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيدى .

ألقى القائد الأعلى نظرة أخرى على الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث الجديد ، قبل أن يعيد بصره إلى (نور) ، قائلاً :

ـ لقد راجعت ملفك وملفات أفراد فريقك أيها المقدم .. الواقع أنكم قد بذلتم جهدًا مضنيًا ، خلال السنوات الماضية ، وواجهتم أهوالاً ، يشيب لها الولدان ، وأمورًا رهيبة مخيفة ، لو واجهها أعظم الأبطال ، لتحطم وانهار بلا شك .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إننا لن نتردد عن مواجهة أضعاف هذا ، فى سبيل (مصر) ، ولن ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

ثم استدار مبتعدًا عن مكتبه ، وهو يكمل :

ـ ولكننى أعتقد أن ما واجهتموه بالفعل يكفى ويزيد .

مع آخر حروف عبارته ، التفت الدكتور (جلال) بحركة حادة وشامتة ، ليلقى نظرة سريعة على (نور) ، ثم يشيح بوجهه ثانية ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

قول القائد الأعلى ، وشماتة مدير مركز الأبحاث ، يعنيان أمرًا ما حتمًا ..

وهو ليس بالأمر الجيد ..

لذا ، فقد سأل (نور) فى توتر :

ـ ما الذى تشير إليه بالضبط أيها القائد ؟!

تألقت عينا القائد الأعلى ، على نحو لا يوحى أبدًا بالارتياح ، وهو يجيب :

- الترقيــة .

كرّر (نور) ، فى حذر زائد :

- الترقية ؟!

عاد القائد الأعلى إلى مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

- نعم .. الترقية أيها المقدّم .. لقد منحتم الوطن الكثير من جهدكم وكفاحكم .. وشبابكم أيضًا ، وحان الوقت ليكافئكم الوطن على خدماتكم العديدة .

قال (نور) فى صوت قوى :

- أفضل مكافأة نحصل عليها ، هى أن نواصل عملنا كفريق علمى .

تجاهل القائد الأعلى عبارته تمامًا ، وكأنه لم يسمعها ، وهو يواصل حديثه :

- لذا ، فقد أصدرت قرارًا بترقيتك إلى منصب رئيس قسم المتابعة ، ويتم الآن إعداد مكتب فخم ، يليق بمنصبك الجديد ، أما زميلك (أكرم) ، فسيتولى تدريب المرشحين الجدد للعمل بالإدارة ، وزوجتك ستحصل على معمل خاص ، فى إدارة البحث العلمى ، لإجراء أبحاثها الخاصة بالصوتيات ، وابنتك ستشترك فى عملية تطوير الجيل الجديد ، من أجهزة الكمبيوتر

المفكّرة ، وزوجها سيدير قسم الطب النفسى ، الخاص بالإدارة .

وتراقصت على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

- أعتقد أنها مكافآت مناسبة وسخية للجميع .

انعقد حاجبا (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

- ترى هل لفريقى أن يتمسك بموقعه الحالى ، ويرفض تلك المكافآت السخية أيها القائد ؟!

ومن المؤكد أن ابتسامة القائد الأعلى لم ترق لـ (نور) قط هذه المرة ، وهو يجيب :

- من الواضح أنك لم تستوعب الموقف بعد أيها المقدّم .. لم يعد هناك وجود لما يمكن أن تطلق عليه اسم الفريق .. لقد أصبحتم مجرّد أفراد ، فى منظومة عمل كبيرة .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، فاتسعت ابتسامة القائد الأعلى ، وبدا صوته شامتًا فى وضوح ، وهو يضيف :

- لقد انتهى أمر فريقك أيها المقدّم .. انتهى إلى الأبد .

قالها ، فاعتدل الدكتور (جلال) ، وتطلع بنظرة ملؤها التحدى والشماتة إلى (نور) .

أما القائد الأعلى نفسه ، فقد اتسعت ابتسامته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

« مستحيل ! هذا ظلم فادح ... » .

هتف (أكرم) بالعبارة ، فى غضب شديد ، وهو يلوّح بيده فى حدة ، قبل أن يندفع نحو (نور) ، مستطردًا :

- لا بد من إبلاغ الرئيس .. إنهم يحطموننا عمدًا .

مط (نور) شفتيه فى توتر ، وهو يقول :

- من الناحية القانونية لا توجد أية أضرار بالنسبة لنا ؛ فلقد حصلنا جميعًا على ترقيات ، ومناصب يحلم بها الجميع ، فما الذى يمكن أن نشكو منه ؟!

قالت (سلوى) فى حدة :

- إنهم قد استبعدونا من العمل المباشر .

أجابها (نور) ، وهو يشيح بوجهه ، ليخفى توتره وانفعاله الزائدين :

- لا يوجد قانون واحد ، يلزمهم بإسناد أية مهام

إلينا ، وخاصة بعد أن كوّن الرائد (أيمن) فريقه الجديد ، وتسلم مكاتبنا بالفعل .

قالت (نشوى) فى مرارة :

- أيعنى هذا أنك ستستسلم للأمر يا أبى ؟!

زفر (نور) فى حرارة ، وهو يجيب :

- واجبى يحتم علىّ هذا يا (نشوى) .. أنا رجل مخابرات ، وسأطيع أوامر رؤسائى أيًا كانت ، ما دامت لا تخالف القانون .

قال (رمزى) فى عصبية :

- هل ينطبق هذا علينا أيضًا ؟!

أجابه (نور) :

- أنتم أحرار ، فى قبول أو رفض مناصبكم الجديدة .

سأله (أكرم) فى حدة :

- وما البديل لو رفضنا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صوت عجيب ، يجمع ما بين الحزم والمرارة :

- الاستقالة .

دوت كلمته كالقنبلة فى الحجرة ..

قنبلة من الصمت ..

فلقد اتسعت عيون الجميع ، وكأن جواب (نور) قد باغتهم ، على نحو لم يكن أحدهم يتوقعه قط ، وتبادلوا نظرة بالغة التوتر ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى خفوت :

ـ هذا ما يسعون إليه بالضبط .

احتقن وجه (رمزى) فى شدة ، وهو يهبّ من مقعده ، هاتفًا فى حدة :

ـ فليحصلوا على ما سعوا إليه إذن .

هتف بالعبارة ، واندفع غاضبًا نحو باب منزل (نور) ، فاندفعت (نشوى) خلفه ، هاتفة فى قلق وتوتر :

ـ (رمزى) .. إلى أين ؟!

وأصاب الفزع ابنهما (محمود) الصغير ، الذى لم يستوعب ما يحدث ، فانفجر باكيًا فى عنف ، جعل (سلوى) تهرع إليه ، قائلة :

ـ الحقى به يا ابنتى .. لا تتركيه وحده ، فى مثل هذه الظروف .

ترددت (نشوى) ، وهى تنقل بصرها بين ابنها

الباكى ، وزوجها الذى اندفع نحو سيارته فى غضب ثائر ، وغمغمت :

ـ ولكن (محمود) .

ربت (نور) على كتفها ، قائلا :

ـ إنه معنا .. الحقى بزوجك .

وتمتم (أكرم) فى عصبية :

ـ إنه يحتاج إليك بشدة .

حسمت الكلمات موقف (نشوى) ، فاندفعت خلف (رمزى) ، هاتفة :

ـ (رمزى) .. انتظر .

رآها (نور) تقفز إلى سيارة (رمزى) ، الذى انطلق بها فى حنق واضح ، فغمغم فى ضيق مرير :

ـ نادرًا ما يفقد (رمزى) أعصابه .

قال (أكرم) فى حنق :

ـ لو لم يفعل ، لبدا لى كتمثال من الحجر .

ثم استطرد فى ثورة :

ـ ما الذى يفعلونه بنا بالضبط ؟! أهذا جزاؤنا ، بعد كل ما فعلناه ؟! لقد أنقذنا العالم كله عدة مرات .. هل ينتهى الأمر بنا إلى تقاعد إدارى سخيف كهذا ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يقول ، بصوت حمل كل توتر الدنيا :

ـ ليت الأمر يقتصر على التقاعد يا (أكرم) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين اتسعت عينا (سلوى) عن آخرهما ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

ولم يجب (نور) تساؤلها ..

ولكنها فهمت ما يقصده ..

كلاهما فهم ، وسقط قلبه بين قدميه .. بعنف ..

★ ★ ★

عبر سنوات تعارفهما وعملهما وزواجهما ، لم تر (نشوى) (رمزى) غاضبًا قط ، كما رأته فى ذلك اليوم ..

لقد انطلق بسيارته فى سرعة كبيرة نسبيًا ، عبر شوارع (القاهرة) الجديدة ، وقد انعقد حاجباه ، واكفهر وجهه ، وانقلبت سحنته ، حتى إن (نشوى)

جلست إلى جواره صامتة لوقت طويل ، قبل أن تغمغم فى حذر :

ـ الظلم لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

اندفع يقول فى حدة :

ـ إنه ليس ظلمًا فحسب ، وإنما هو إجحاف بحقنا أيضًا .. كيف يكون هذا جزاؤنا ، بعد كل ما بذلناه ، فى سبيل هذا الوطن ؟! لماذا يتعاملون معنا بهذه الروح العدوانية ؟! لقد أدينا واجبنا بكل إخلاص وتفان ، فكيف ينتهى بنا الأمر إلى هذا ؟!

قالت فى انفعال :

ـ إننا لم نفعل ما فعلناه انتظارًا لربح أو مكافأة .. لقد فعلناه من أجل (مصر) فحسب .

هتف فى غضب :

ـ ومن تحدث عن المكافأة ؟! إننا لم نطلب أوسمة أو دروعًا .. ولكننا أيضًا لا نستحق عقابًا منمقًا مدروسًا ، خبيثًا إلى هذا الحد .. لقد تعاملوا معنا بعداء منقطع النظير ، و ...

بتر عبارته فجأة ، وقفزت قدمه بحركة سريعة عنيفة إلى فرامل السيارة ، فانطلق من إطاراتها

صرير مخيف ، وهى تتوقف على نحو مباغت ، جعل (نشوى) تندفع إلى الأمام فى عنف ، بفعل القصور الذاتى ، حتى كادت ترتطم بالتابلوه الأمامى ، لولا حزام الأمان القوى ، فهتفت فى دهشة مستنكرة :

ـ ما الذى ..... ؟!

قبل أن تتم عبارتها ، ارتطم شىء ما بمقدمة السيارة ، وانبعث منه وهج أخضر عنيف ، مع صوت مكتوم ، ارتجت له أذنا (نشوى) ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، انطلق صرير إطارات السيارة مرة أخرى ، و (رمزى) يتراجع بها إلى الخلف بسرعة مخيفة ..

وبقلب مرتجف ، اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، مع تلاشى الوهج الأخضر ، وهى تحدق فى ذلك الشىء ، الذى ارتطم بأعلى مقدمة السيارة ..

كانت كرة من اللهب ..

نعم .. كرة من لهب أخضر عجيب ، تجمعت مرة أخرى على نحو مخيف ، قبل أن تنطلق مطاردة السيارة المتراجعة ..

وصرخت (نشوى) فى رعب :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أدار (رمزى) عجلة القيادة بكل قوته ، فدارت السيارة حول نفسها ، بصوت رهيب ، امتزج بصراخ المارة ، وصرير إطارات السيارات الأخرى ، التى أصابها الرعب والفزع ، إزاء ذلك المشهد المخيف ، ومع مرأى كرة اللهب الصغيرة ، التى انطلقت تطارد سيارة (رمزى) ، فى إصرار عجيب ..

وبأقصى سرعته ، انطلق (رمزى) بسيارته ، و (نشوى) تكرر صارخة :

ـ ما هذا يا (رمزى) ؟! ما هذا ؟!

صاح ، وهو يناور بالسيارة ، بكل ما يمتلك من مهارة :

ـ لست أدرى .. صدقينى .. لست أدرى ..

أدار عجلة القيادة مرة أخرى فى قوة ، فانحرفت سيارته بسرعة مخيفة ، وقفزت خارج الطريق الرئيسى ، وانطلقت كالصاروخ نحو شارع جانبى صغير ..

وبزاوية حادة ، انحرفت كرة اللهب خلفه ، متجاهلة كل السيارات والعربات الأخرى فى الطريق ، لتواصل

مطاردته بنفس الشراسة والإصرار ، وقد تحوّل لونها من الأخضر إلى الأزرق ..

ومع انحرافها الحاد ، انعقد حاجبا (رمزى) فى شدّة ، وهو يهتف بزوجته :

ـ اقفزى من السيارة ، عندما أدور حول الناصية التالية .

هتفت فى ذعر :

ـ ماذا تقول ؟! إننى لن ..

قاطعها بصرخة هادرة :

ـ قلت : اقفزى .

قالها ، وانحرف بسيارته على نحو مباغت ، ثم مال إلى اليمين ، وفتح باب السيارة المجاور لها ، صارخًا مرة أخرى :

ـ اقفزى .

تشبثت بمقعدها فى شدّة ، صائحة ، ودموعها تغرق عينيها :

ـ لن أتركك وحدك .. لن أتخلّى عنك .

كانت كرة النار تزيد من سرعتها ، وتقترب من السيارة أكثر فأكثر ، ولونها يتغيّر إلى البنفسجى

الهادئ ، لذا فقد انتزع (رمزى) قفل حزام مقعدها ، وهو يقول فى توتر مرير للغاية :

ـ سامحينى .

وبكل ما يمتلك من قوة ، دفعها جانبًا ، وهو ينحرف بالسيارة إلى اليسار ..

وانطلقت من حلق (نشوى) صرخة رعب كبيرة ، وهى تسقط من السيارة ، وترتطم بالأرض فى عنف ، ثم تتدحرج فوقها فى قوة ..

ومن فوق رأسها .. وأمام عينيها مباشرة ، انطلقت كرة اللهب ، بلونها البنفسجى ، وقد استحالت مقدّمتها إلى لون أحمر نارى مخيف ..

وعلى الرغم من آلامها العنيفة ، والكدمات والسحجات والجروح ، التى تنتشر فى جسدها كله ، صرخت (نشوى) :

ـ لا .. يا (رمزى) .. لا ..

وعند الناصية التالية ، رأت (رمزى) ينحرف بسيارته ، وإطاراتها تصرخ بشدّة ، ثم تنحرف خلفه كرة اللهب ، التى اكتسى نصفها الأمامى كله بذلك اللون النارى المخيف ، وكأنها تستعد لانقضاضتها الأخيرة .. والحاسمة ..

وعند الناصية التالية ، رأت (رمزى) ينحرف بسيارته ، وإطاراتها تصرخ بشدة ، ثم تنحرف خلفه كرة اللهب ..

وعبر جهاز الاتصال فى ساعتها ، هتفت (نشوى) :

ـ أبى .. النجدة يا أبى .. (رمزى) يواجه خطرًا رهيبًا .. إنها تطارده .

أتاها صوت (نور) على الفور ، وهو يهتف :

ـ أين أنتما يا (نشوى) ؟! وما تلك التى تطارد (رمزى) ؟!

تفجَّرت الدموع من عينيها ، وهى تصرخ :

ـ كرة مخيفة يا أبى .

هتف فى دهشة متوترة :

ـ كرة ؟!

أجابته فى رعب :

ـ نعم .. كرة من النار .

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى انفجار مكتوم من بعيد ..

انفجار يوحى ، مع وهجه الأحمر المخيف ، أن كرة النار قد بلغت هدفها ..

وأصابته ..

تمامًا .

★ ★ ★

٢ ـ نيران الخطر ..

اندفع (نور) و (أكرم) عبر ممرات المستشفى العسكرى ، فى توتر بالغ ، وما إن لمحا (نشوى) شبه المنهارة ، أمام حجرة الطوارئ ، حتى اتجها إليها مباشرة ، و (نور) يسألها فى انفعال :

ـ كيف هو ؟! ماذا أصابه ؟!

كان وجهها شاحبًا ممتقعًا ، على نحو مخيف ، وهى تقلب كفيها فى حيرة بلا حدود ، قائلة :

ـ لست أدرى ! لست أفهم شيئًا ! الأطباء أيضًا حائرون ، ويتحدثون بمصطلحات طبية وعلمية ، لا أفقه شيئًا منها .

ثم تفجرت الدموع فى عينيها ، وهى تهتف :

ـ إننى حائرة مرتبكة يا أبى ..

هتفت بالعبارة ، وألقت نفسها بين ذراعى والدها ، وأجهشت ببكاء حار ، فربت عليها (نور) فى حنان مشفق ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ أرجوك .. عد بها إلى منزلنا ، واطلب من

(سلوى) أن ترعاها ، وأن تقنعها بالخلود إلى النوم بعض الوقت ، ولو اضطر الأمر إلى حقنها ببعض المهدئات القوية ، فأعصابها ثائرة للغاية ، و ...

قاطعته (نشوى) ، وهى تحاول التملص منه فى عنف ، هاتفة :

ـ لا .. لن أترك (رمزى) وحده هنا ، بعد ما أصابه .. لن أتخلى عنه أبدًا .

ضمها إليه (نور) مرة أخرى فى قوة ، وهو يهمس فى أذنها :

ـ رويدك يا ابنتى .. رويدك .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .. اهدئى .. سنبذل قصارى جهدنا لرعاية (رمزى) ، ولكن ..

دفعت نفسها بعيدًا ، وهى تصرخ :

ـ لا .. أنا وحدى رأيت ما حدث .. أنا وحدى يمكننى منحهم كل الأجوبة المطلوبة ، التى يمكن أن تساعدهم على إنقاذ حياته .

أتاها صوت حازم رصين من خلفها ، يقول :

ـ حياة زوجك ليست بحاجة إلى إنقاذ يا سيدتى .

ارتفعت عينا (نور) و (أكرم) إلى صاحب العبارة ، فى حين التفتت إليه (نشوى) فى حدة ، هاتفة :

- ماذا تعنى ؟! قل لى: ماذا تعنى ؟!

بدا الرجل هادئا رصينا وقورًا ، فى معطف الأطباء الأبيض ، على الرغم من ثورتها وحدتها ، وهو يجيب :

- أعنى أن حياته بخير يا سيدتى .. اطمئنى .

هتف به (أكرم) فى لهفة :

- هل تعنى أن (رمزى) قد نجا أيها الطبيب ؟!

تردد الطبيب لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- بل أعنى أن حياته بخير .

سأله (نور) ، فى قلق عارم :

- وما الفارق ؟!

تردد الطبيب لحظة أخرى ، ثم أجاب :

- الحالة التى عليها زميلكما ، تجعل الفارق كبيرًا للغاية .

ازداد وجه (نشوى) شحوبًا وامتقاعًا ، وهى تقول :

- لماذا ؟! لماذا ؟!

تنهد الطبيب ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نناقش هذا الأمر فى مكتبى .

هتفت (نشوى) :

- و (رمزى) ؟!

أجابها فى حزم :

- اطمئنى .. إنه فى عناية أفضل الزملاء ، وسيتم نقله بعد قليل إلى حجرة العناية الخاصة .

لم يكن هذا الجواب يكفيها أو يشبعها ، إلا أنها لم تعترض أو تحتج ، حتى بلغوا حجرة مكتب الطبيب ، الذى لاذ بالصمت بضع لحظات ، قطعها (نور) ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا أصاب (رمزى) يا سيدى الطبيب ؟!

قلب الطبيب كفيه ، وهو يجيب :

- من الناحية الطبية ، فزميلكم مصاب بحروق بسيطة ، من الدرجة الأولى ، تحتاج إلى علاج مكثف لمدة أسبوعين فحسب .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

- لماذا تم نقله إلى حجرة العناية الخاصة إذن ؟!

هز الطبيب رأسه ، مجيبًا :

- لأن زوجك غارق فى غيبوبة عميقة ، لا ندرى لها سببًا يا سيدتى .

تبادل (نور) و (أكرم) و (نشوى) نظرة بالغة التوتر ، والطبيب يتابع فى قلق حائر متوتر :

- ففى حالات الغيبوبة المعتادة ، تنخفض المعدلات الحيوية للجسم كله ؛ نظرًا لانخفاض استهلاك السعرات الحرارية إلى الحد الأدنى ، ولكن فى حالة زميلكم ، يبدو الأمر محيرًا للغاية .. إن معدلاته الحيوية كلها تعمل بكفاءة ، كما لو أنه مستيقظ ، وبأكمل نشاطه وحيويته ، وفى الوقت نفسه ، تنخفض إشارات مخه إلى الحد الأدنى ، الذى لا يكفى حتى لتعمل أجهزته بهذه المعدلات ، وهذا يخالف كل القواعد العلمية والطبية المعروفة .

تضاعف شحوب وجه (نشوى) ، حتى حاكى وجوه الموتى ، وهى تسأل :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

زفر فى توتر ، مغمغمًا :

- هذا ما نسعى لمعرفته يا سيدى .

سأله (نور) فى توتر :

- وماذا لو لم تتوصلوا لمعرفته ؟!

قلب الطبيب كفيه مرة أخرى ، وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يجيب ، مشيحًا بوجهه فى مرارة :

- سيعنى هذا أن صاحبكم سيظل غارقًا فى غيبوبته .. إلى الأبد .

اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما مع قوله ، وانفرجت شفتاها لتقول شيئًا ما ، إلا أن رأسها دار فى عنف ، و ...

وهوت فاقدة الوعى ..

دفعة واحدة .

* * *

« ما تفسيرك لهذا يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) السؤال فى توتر بالغ ، وهما ينطلقان بسيارة (نور) ، بعد أن نقلا (نشوى) إلى منزل الأخير ، الذى هز رأسه ، مجيبًا :

- لست أدرى يا (أكرم) .. (نشوى) تحدثت عن كرة من النار ، طاردت سيارتهما فى إصرار شرس ، وواصلت مطاردتها لـ (رمزى) ، بعد أن غادرت هى السيارة ، مما يعنى أن تلك الكرة النارية كانت تطارد (رمزى) بالذات .

هز (أكرم) كتفيه ، متسائلاً :

- أليس من المحتمل أنها كانت تطارد السيارة ؟!

أعنى أن شيئًا ما يجذبها إلى المحرك مثلا ، أو أسطوانة العادم .. ألم تقل (نشوى) إنها قد ارتطمت بمقدمة سيارتهما أولا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ كلا .. هذا غير محتمل على الإطلاق ، فطبقًا لوصف رجال الإسعاف لموقع الحادث ، فقد كان (رمزى) ملقى خارج السيارة ، وعلى بعد ثلاثة أمتار منها تقريبًا، ومصابًا بتلك الحروق ، فى حين كانت السيارة سليمة تمامًا ، فيما عدا أثر الاحتراق فى مقدمتها ، إثر الاصطدام الأول .

سأله (أكرم) بصوت متوتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ يعنى أن فكرتك نفسها قد جالت بخاطر (رمزى)، فقفز من السيارة ، وحاول الابتعاد عنها ، ولكن الكرة لحقت به ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يهز رأسه فى قوة ، محاولا إلقاء تلك الصورة البشعة عن ذهنه ..

صورة (رمزى) المسكين ، وهو يعدو خارج السيارة ، فتنحرف نحوه كرة النار ، وتنقض عليه بكل قوتها وشراستها ..

ويدوى الانفجار ..

ومرة أخرى ، هز (نور) رأسه فى قوة ، لينفض عنها تلك الصورة الرهيبة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ مسرح الجريمة .

لم يدرك (أكرم) معنى العبارة بالضبط ، فتساءل :

ـ ماذا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير بيده مرة أخرى :

ـ كل الإجابات قد نحصل عليها ، فى مسرح الجريمة نفسه ؛ فهناك فقط يمكننا التأكد من صحة أو عدم صحة نظرية المطاردة الانتقائية هذه .

قالها ، ومال بسيارته ، لينطلق مباشرة نحو مسرح الحادث ، فى حين حاول (أكرم) أن يسترخى فى مقعده ، وهو يغمغم :

ـ آه .. فهمت .

لم يتبادلا كلمة واحدة إضافية ، حتى بلغت بهما السيارة ذلك الموقع ، الذى أصيب فيه (رمزى) ،

والذى أحيط بطاقم من رجال أمن إدارة المخابرات العلمية ، لم يكد رئيسه يلمح سيارة (نور) ، وهى تتوقف على قيد أمتار منه ، حتى بدا عليه التوتر ، وهو يؤدى التحية العسكرية ، قائلاً فى احترام واضطراب :

- مرحبًا يا سيادة المقدم .

أشار إليه (نور) بإفساح الطريق ، وهو يسأله :

- هل وصل رجال المعمل الجنائى ؟!

ولكن قائد طاقم الأمن اعترض طريقه ، وهو يقول فى حرج متوتر :

- احم .. معذرة يا سيادة المقدم (نور) ، ولكن غير مسموح لك بالاقتراب من المكان ، أو تجاوز نطاق الأمن .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يهتف :

- هل جننت يا رجل ؟! ألا تعرف من الذى ...

ولكن (نور) أشار إليه بالتزام الصمت ، وهو يسأل الرجل فى هدوء صارم :

- من أصدر هذه الأوامر ؟!

أجابه رئيس طاقم الأمن فى حرج أكثر :

- قائد الفريق الذى يتولى المهمة يا سيادة المقدم .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، وهم بالهتاف بعبارة أخرى ، ولكن (نور) ضغط يده محذرًا ، وهو يقول :

- دعنى أخمن إذن .. إنه ..

قبل أن يتم قوله ، ارتفع صوت شامت ساخر ، يقول :

- آه .. المقدم (نور الدين) .. كنت أتوقع مقدمك يا صديقى .

استدار (نور) إلى صاحب الصوت ، قائلاً فى هدوء :

- الرائد (أيمن) .. لقد كان استنتاجى صحيحًا إذن .

توقف الرائد (أيمن) أمامه مباشرة ، وعقد كفيه أمامه ، وهو يشد قامته ، قائلاً بنفس الابتسامة الساخرة الشامتة :

- استنتاجاتك دائمًا صحيحة يا سيادة المقدم ، وربما إلى الحد الذى لم يترك للآخرين فرصة إثبات مهاراتهم .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ عندما يمتلك المرء مهارة ما ، فما من قوة فى الأرض يمكن أن تمنعه من إثباتها ، لو أن فى هذا خير للآخرين .

انعقد حاجبا الرائد (أيمن) فى حدة ، وهو يقول :

ـ أهذا رأيك ؟!

تجاهل (نور) هذه المشادة الكلامية ، وهو يسأل :

ـ ما الذى عثرتم عليه هنا أيها الرائد ؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى الرائد (أيمن) ، وهو يجيب :

ـ الكثير أيها المقدَّم .

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ مثل ماذا ؟!

أدار (أيمن) عينيه إليه فى برود ، قائلاً :

ـ ليس هذا من شأنك .

ازداد احتقان وجه (أكرم) ، وتكورت قبضته فى حركة غريزية ، تشف عن بركان الغضب ، الثائر فى أعماقه ، على نحو أقلق رئيس طاقم الحراسة ، الذى أمسك مقبض مسدسه الليزرى فى حذر متحفز ، فى

حين بدا (نور) صارمًا ، وهو يواجه (أيمن) ، قائلا :

ـ اسمع أيها الرائد ..

ولكن (أيمن) انفجر فى وجهه ، مقاطعًا :

ـ اسمعنى أنت أيها المقدَّم .. لقد أسندت الإدارة هذه المهمة لى ولفريقى ، والقواعد واضحة فى هذا الشأن .. ليس من حق أى مخلوق آخر التدخل فى عملنا ، مهما كان مركزه ، ومهما بلغت رتبته .. كل ما يمكنك فعله ، هو انتظار النتائج .

ثم استعاد ابتسامته الساخرة الشامتة ، وهو يضيف :

ـ هذا لو سمحوا لك بالاطلاع عليها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الـ ...

قاطعه (نور) هذه المرة فى حزم شديد ، وهو يقول :

ـ هيا بنا .

حدق (أكرم) فى وجهه باستنكار شديد ، هاتفًا :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ أقول : هيا بنا .. لم يعد لدينا ما نفعله هنا .

قالها ، واستدار عائدا إلى سيارته . فاحتقن وجه (أكرم) ، وهو ينقل بصره بين (نور) ، الذى مضى فى سبيله فى حزم ، ووجه الرائد (أيمن) ، الذى انتفخ من شدة شماتته ، وشعوره بالظفر ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ اللعنة !

ثم لوّح بسبابته فى وجه (أيمن) ، هاتفاً :

ـ ثق أن الأمر لم ينته بعد .

وانطلق يلحق بـ (نور) ، الذى لم يكد يطمئن إلى أن (أكرم) قد استقرّ فى السيارة ، حتى انطلق بها ، دون أن يلتفت إلى الرائد (أيمن) ، الذى اتسعت ابتسامته الظافرة الشامتة ، وهو يقول :

ـ صدقت يا هذا .. الأمر لم ينته بعد .

أما (أكرم) ، فقد هتف فى غضب ، والسيارة تنطلق فى سرعة :

ـ ما هذا يا (نور) ؟! كيف تنسحب أمام وغد كهذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لم يكن هناك حل آخر يا (أكرم) ، فالقانون فى صفه هذه المرة .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ فليذهب القانون إلى الجحيم .. إنه زميلنا ، ذلك الذى أصابته كرة النار اللعينة هذه ، ولا يمكن أن نقف ساكنين أمام هذا .

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صوت حاسم :

ـ ليس هذا كل ما أخشاه يا (أكرم) .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ وما الذى تخشاه أكثر من هذا يا (نور) ؟!

صمت (نور) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب ، فى حزم واقتضاب :

ـ أخشى ما أخشاه إنها البداية فحسب يا (أكرم) .

وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، على الرغم من أنه لم يكن يدرك ، عندئذ أن (نور) على حق تماما ، فى نبوءته هذه ..

إنها البداية ..

فحسب ..

* * *

انطلق (محمود) الصغير يبكى فى ذعر حائر ، وهو يتطلع إلى أمه ، التى بدت شاحبة ، ضعيفة ، ممتقعة ، تغرق دموعها عينيها بلا انقطاع ، على الرغم من العقار المهدئ ، الذى حقنتها به (سلوى) ، التى بدت شديدة الحزن والأسى ، وهى تبذل قصارى جهدها ، للعناية بابنتها وحفيدها فى آن واحد ، وراح كفها يربت على الصغير ، الذى تشبث بها مذعورًا ، متسائلاً بنظراته الهلعة الحائرة عما أصاب أمه ، فى نفس الوقت الذى راحت تمسح فيه شعر ابنتها بيدها الأخرى فى حنان ، متمتمة :

- اهدئى يا (نشوى) .. اهدئى يا بنيتى .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .

أمسكت (نشوى) كفها فى قوة ، وهى تهتف ، بصوت لم يفارقه الهلع بعد :

- لقد كان أمرًا رهيبًا يا أمى .. رهيبًا للغاية .. لقد بذل (رمزى) المسكين قصارى جهده ، وحاول الفرار بكل وسيلة ممكنة ، ولكن كرة النار ظلت تطارده فى إصرار شرس مخيف ، حتى ظفرت به .. يا للبشاعة ! يا للبشاعة !!

ارتجف جسد (سلوى) ، وهى تحاول تخيل ذلك المشهد الرهيب ، وانتقلت ارتجافتها ، على الرغم منها ، إلى ابنتها ، مع تربيتها عليها ، وهى تتمتم :

- كل شىء سيصبح على ما يرام .. كل شىء ..

تشبث بها (محمود) الصغير أكثر وأكثر ، وارتفع صراخه ، وهو يحدق مذعورًا فى وجه أمه ، والدموع الغزيرة التى تغرقه ، فضمته (سلوى) إليها ، محاولة تهدئته ، وهى تقول فى توتر بالغ :

- ماذا أصابك يا صغيرى ؟! ماذا أصابنا جميعًا ؟! ما الذى يفعلونه بنا ؟!

أمسكت (نشوى) يدها فى قوة ، هاتفة :

- التخلص منا .. إنهم يسعون للتخلص منا .

هتفت بها (سلوى) :

- لا تقولى هذا يا (نشوى) .. بل لا تفكرى حتى فيه .. إننا لا نواجه أعداء يسعون للقضاء علينا .. إننا وفى وطننا ، ووسط أهلنا ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، تجمدت الكلمات فى حلقها بغتة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدق فى نقطة ما ، عبر نافذة الحجرة ، المطلة على الحديقة ..

وفى نفس اللحظة ، توقف (محمود) الصغير عن الصراخ والبكاء ، وهو يتطلع إلى النقطة نفسها بدوره ، وقد شمله فضول وحيرة الصغار ، إزاء أى شىء غامض أو عجيب ..

ومع ذلك الصمت المباغت ، أدارت (نشوى) عينيها ، إلى حيث يحدق ابنها وأمها ، ولم تكد تفعل ، حتى انتفض جسدها كله بمنتهى العنف ، وقفزت من فراشها ، صارخة :

ـ لا ..

فأمام ثلاثتهم ، عبر نافذة الحجرة ، وعلى مسافة متر واحد منها تقريبًا ، فى الحديقة الخارجية ، كانت تقف تلك الكرة الرهيبة ..

كرة النار ، ذات اللهب الأخضر العجيب ..

كانت تقف ثابتة جامدة ، على ارتفاع متر ونصف من حشائش الحديقة ، وكأنها تدرس الموقف جيدًا ، قبل أن تنقض ..

وبصوت امتلأ بالرعب والهلع والفزع ، وارتجفت كلماته فى شدة ، هتفت (نشوى) :

ـ إنها هى ؟! يا إلهى ! إنها هى !!

انحنت (سلوى) فى بطء ، تضع (محمود) الصغير على الأرض ، وهى تهمس بصوت شاحب مبحوح ، من فرط التوتر والانفعال :

ـ اجلس هنا يا صغيرى ، ولا تبرح مكانك قط .

هتفت (نشوى) :

ـ إنها تهدف إلينا .. لقد أتت من أجلنا .

أمسكت (سلوى) يد ابنتها فى قوة ، وهى تقول :

ـ لا تتحركى يا (نشوى) .. ربما كانت ترصد الـ .....

قبل أن تتمّ عبارتها ، انقضّت الكرة فجأة على زجاج النافذة ، واخترقته بدوى عنيف ، ونيرانها تتحول من اللون الأخضر إلى الأزرق ، فى سرعة كبيرة ، فصرخت (سلوى) ، وهى تدفع ابنتها جانبًا :

ـ احترسى !

هتفت بها ، وهى تلقى نفسها أرضًا ، فى اللحظة نفسها ، فمرقت كرة اللهب بينهما ، وارتطمت بالجدار ، ودوى انفجار مكتوم ، وتناثرت معه ألسن اللهب الصغيرة لمسافة كبيرة ، وتفجرت معه دموع (محمود) الصغير وصرخاته ، قبل أن ترتدّ كرة النار

فى سرعة ، وتتعلق بسقف الحجرة ، ولونها يتغير ، من الأزرق إلى البنفسجى .

وبحركة سريعة ، اختطفت (نشوى) ابنها ، صارخة :

ـ أسرعى يا أمى .. إنها تستعد لهجوم آخر .

انطلقت كلتاهما تعدوان بأقصى سرعتيهما خارج الحجرة ، وصفقت (نشوى) بابها خلفها فى قوة ، و (سلوى) تهتف بها :

ـ خزانة الثياب .. اختبئى مع ابنك فى خزانة الثياب .

صرخت (نشوى) :

ـ لا .. لن أتركك وحدك ..

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى انفجار مكتوم آخر ، أطاح بباب الحجرة ، لتندفع عبره كرة النار ، وقد استحالت مقدمتها إلى اللون الأحمر المخيف ..

وانطلقت صرخات المرأتين ، عندما اندفعت كرة النار نحوهما مباشرة ، وصاحت (نشوى) ، وهى تحاول حماية أمها بجسدها :

ـ لا .. لن تظفرى بكل من أحب ..

وصاحت (نشوى) ، وهى تحاول حماية أمها بجسدها :

ـ لا .. لن تظفرى بكل من أحب ..

كان جسدها يعترض طريق كرة اللهب ، التى أصبحت حمراء كالدم، ويحول بينها وبين أمها تمامًا ، ولقد بدا لثانية أن الكرة سترتطم بها مباشرة ، حتى إن (سلوى) قد صرخت ، بكل رعب الدنيا :

ـ لا .. ليس (نشوى) .

ولم تكد صرختها تتدلق ، حتى دارت كرة النار حول جسد (نشوى) ، بزاوية حادة وسريعة للغاية ، ثم واصلت اندفاعها نحو (سلوى) ..

وبكل ذعرها ، وهلعها ، ورعبها ، استدارت (سلوى) ، محاولة الفرار من تلك الكرة الرهيبة ، وهتفت (نشوى) :

ـ أمى .. أمى ..

ومع آخر حروف هتافها ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، تألق معه المكان كله بوهج أحمر رهيب ، وطار جسد (سلوى) إلى الأمام فى عنف ، ليرتطم بزجاج نافذة غرفة المعيشة ، ويحطمه ، ثم يندفع عبره ، ليسقط فى حديقة المنزل فى قوة ..

وأخفت (نشوى) عينيها بذراعها ، مع شدة الوهج ، وهى تصرخ :

ـ لا يا أمى .. لا .. لا ..

وانبعث من حولها صوت أشبه بالفحيح ، والوهج ينسحب ..

وينسحب ..

وينسحب ..

وعندما فتحت عينيها ، كانت أمها ملقاة فى حديقة المنزل ، على نحو جعلها أشبه بالجثة الهامدة ..

أما كرة النار ، فلم يعد لها وجود ..

لقد اختفت ..

اختفت تمامًا .

* * *

٣ - الاختيار ..

لم تكد سيارة الرائد (أيمن) وفريقه تتوقف ، عند منزل (نور) ، حتى قفز منها الأول ، وهو يشير بيديه للمدنيين ورجال الصحافة ، الذين أحاطوا بالمكان ، قائلا فى صرامة وخشونة :

- لا يوجد ما يحتاج إلى وجودكم هنا .. هيا .. انصرفوا جميعًا ، وإلا ألقيت القبض عليكم بتهمة التجمهر .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، الذين لم يعتادوا ذلك الأسلوب الفظ الجاف ، من رجال المخابرات العلمية بالذات ، واقتحمت (مشيرة محفوظ) الجموع فى جرأة ، وهى تسأل الرائد (أيمن) :

- قل لى أيها الرائد : لماذا لم يتولَّ المقدَّم (نور) بنفسه أمر ما حدث فى منزله ؟! ألا يبدو لك من العجيب أن يأتى فريق آخر ، من فرق المخابرات العلمية ، للتحقيق فى حادث غامض ، يخص قائد أفضل فريق علمى فى العالم أجمع ، باعتراف الجميع ؟!

أجابها (أيمن) فى حدة :

- لا عجب فى هذا يا سيِّدة (مشيرة) .. فالمقدَّم (نور) لم يعد قائدًا لأية فرق علمية أو أدبية ، مما يعنى أننا بالفعل الفريق المختص ، بتولى مثل هذه الحوادث الغامضة ، طبقًا للقانون .

ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة ، وهى تقول :

- ماذا تعنى بأن المقدَّم (نور) لم يعد قائدًا لأية فرق علمية ؟! هل تم فصله من إدارة المخابرات العلمية ، بكل تاريخه الحافل ، وبطولاته الفريدة ؟!

ارتسمت ابتسامة متشفية على شفتى الرائد (أيمن) ، وهو يقول :

- بل تمت ترقيته يا سيِّدة (مشيرة) ، وهذا يعنى أن ...

قاطعه صوت (نور) ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- وهذا يعنى أنها أمور داخلية ، لا شأن للصحافة والجماهير بها يا (مشيرة) .

استدار إليه (أيمن) فى حدة ، وكأنما لم يرق له أن يجيب السؤال بدلا منه ، فى حين التفتت إليه (مشيرة) ، قائلة فى لهفة :

ـ سيادة المقدم (نور) .. ماذا حدث هنا ؟! وماذا أصاب السيدة (سلوى) .

أجابها (نور) فى صرامة :

ـ قلت لك : إنها شئون داخلية .

ثم أشار إلى (أيمن) ، مستطردًا :

ـ تفضل أيها الرائد .. الجميع فى انتظارك .

شد الرائد (أيمن) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدلف إلى المنزل كقائد نازى قديم ، ولم يكد يلقى نظرة على حجرة المعيشة ، ونافذتها المحطمة ، حتى أشار بيده لأفراد فريقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ افحصوا كل شبر فى المكان ، والتقطوا كل البصمات ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ما الذى تتصور أنك تفعله بالضبط أيها الرائد ؟!

التفت إليه (أيمن) فى حدة ، قائلاً :

ـ الإجراءات الرسمية القانونية أيها المقدم ، ولا أريد أن أكرر أنه ليس من حق أى شخص أن ..

اندفع (نور) نحوه بغتة ، وجذبه من سترته ، ودفعه أمامه فى قوة وغضب ، حتى ارتطم ظهره

بالجدار ، وفوجئ بقدميه ترتفعان عن الأرض ، وعينا (نور) تخترقان عينيه مباشرة ، وهذا الأخير يقول ، بكل صرامة الدنيا :

ـ اسمعنى جيدًا أيها الرائد وافتح أذنيك عن آخرهما ، لأننى لن أكرر كلماتى هذه مرة أخرى .

تحرك أفراد فريق الرائد (أيمن) فى عصبية ، وقفزت أيديهم إلى أسلحتهم ، لولا أن ارتفع صوت (أكرم) الصارم الغاضب ، وهو يقول ، مصوبًا مسدسه إليهم :

ـ رويدكم يا سادة .. إنها مشكلة قادة ، فدعوهما يناقشان أمورهما دون أن ندس أنوفنا فيها .

وفى اللحظة التى احتقنت فيها وجوه أفراد فريق الرائد (أيمن) فى حنق ، كان هذا الأخير يستمع فى عصبية شديدة إلى حديث (نور) ، الذى يكمل فى صرامة :

ـ القضية التى تتولاها ليست مجرد حادث غامض، من الحوادث العلمية غير المفسرة ، التى لا يحق لى التدخل فيها .. إنه حادث ذهبت زوجتى وذهب واحد من أصدق أصدقائى ضحية له ، ولا توجد قوة

فى الأرض .. ودعنى أكررها .. لا توجد قوة فى الأرض يمكن أن تمنعنى من بذل قصارى جهدى ، لمعرفة سبب ما حدث ، والهدف من حدوثه ، وسواء أكان القانون يسمح بهذا أو يرفضه ، فلن أتوقف عن السعى لكشف الأمر .. هل تفهم ؟!

حدق الرائد (أيمن) فى عينيه بضع ثوان ، بكل غضب الدنيا ، قبل أن يقول فى بطء غاضب :

ـ إنك تقضى على مستقبلك ، بتصرفك هذا أيها المقدم .

أجابه (نور) فى صرامة قاسية :

ـ وأنت ستقضى على حياتك ، بأسلوبك السخيف هذا .

قالها ، وأفلت الرائد (أيمن) فى عنف ، فاختل توازن هذا الأخير ، وسقط أرضًا ، ثم لم يلبث أن هب واقفًا على قدميه ، وجذب مسدسه الليزرى من جرابه فى عنف ، ولكن يد (نور) أمسكت معصمه بأصابع من فولاذ ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟! هل ستطلق أشعة الليزر على زميل ، أيها الرائد (أيمن) ؟!

التقت نظراتهما طويلا ، وران على المكان صمت مطبق ، مشوب بالغضب والتحدى ، قبل أن يقول الرائد (أيمن) فى حدة :

ـ ستدفع الثمن غاليًا أيها المقدم .

لم يعلق (نور) على العبارة ، وإن ظلت عيناه تحملان نفس النظرة الغاضبة المتحدية ، فانتزع الرائد (أيمن) معصمه من أصابعه ، وهتف بفريقه :

ـ هيا بنا .

ثم اندفع يغادر المكان ، وتبعه أفراد فريقه ، وقفز الجميع فى سيارتهم التى انطلقت بهم فى عنف ، وعلى نحو كاد يطيح بأحد المواطنين ، ولم تكد السيارة تختفى، فى نهاية الشارع، حتى أعاد (أكرم) مسدسه إلى حزامه ، قائلاً فى توتر :

ـ هل تدرك ما سيفعلونه يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتحرك فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. سيستصدر الرائد (أيمن) أمرًا بالتحفظ على المنزل ، وإخلائه ، لصالح التحقيق فى الحادث ، وربما يستصدر أمرًا بإلقاء القبض علينا أيضًا .

تمتمت (نشوى) ، وهى ترتجف ذعرًا :

ـ يا إلهى !

ولكن (نور) انحنى يفحص البقعة ، التى أصابت كرة النار عندها (سلوى) ، وهو يقول فى حزم شديد :

ـ هذه الإجراءات ستستغرق نصف الساعة على الأكثر ، وهذا يعنى أن هذه الفترة هى كل ما نمتلكه من وقت ، لنجرى كل تحرياتنا ، ونتوصَّل إلى أقصى ما يمكننا التوصل إليه ، بشأن ما يحدث .

هتف (أكرم) فى حماس :

ـ بم تأمر يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ افحص المنطقة التى سقطت عندها (سلوى) ، فى حديقة المنزل .. افحص كل شبر منها .. بل كل سنتيمتر ، واحتفظ بكل ما يمكن أن يثير تساؤلك أو شكوكك ، حتى ولو كان ذرة رمال غريبة .

هتف (أكرم) ، وهو يعدو نحو الحديقة :

ـ سمعًا وطاعة أيها القائد .

اتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ أبى .. هل ستترك أمى فى المستشفى ، و ...

قاطعها (نور) فى صرامة :

ـ (سلوى) الآن فى المستشفى ، تحت رعاية أفضل طاقم أطباء فى (مصر) .. وربما فى العالم أجمع ، والشىء الوحيد ، الذى يمكن أن نقدِّمه لها ، هو أن نكشف سر ما أصابها ، والسبب الخفى لكل ما يحدث لنا .. بهذا فقط يمكننا أن نعاون على شفائها .. هل فهمت ؟!

امتقع وجهها فى شدة ، حتى بدا أشبه بوجوه الموتى ، قبل أن تغمغم بصوت مرتجف :

ـ ما الذى يمكننى القيام به ؟!

أجابها فى حزم :

ـ هل تعتقدين أنه ما زال بإمكانك اختراق شفرة أمن جهاز المعلومات الخاص بالإدارة ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ بالطبع .. حتى ولو استبدلوها بشفرة أكثر تعقيدًا .. هل نسيت أننى شاركت فى ابتكار جهاز الأمن هناك ؟!

قال فى حسم :

ـ عظيم .. اعملى على اختراق جهاز المعلومات السرى إذن ، وابحثى عن أية مشروعات سرية ، فى

مركز الأبحاث ، تختص بصنع كرة من النار ، لمطاردة أشخاص بأعينهم .. أو بمعنى أدق .. كرة نار موجهة .

سألته فى هلع ، وهى تنتقل إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها :

- يا إلهى ! هل تعتقد أنه من المحتمل أن تكون تلك الكرة الرهيبة من إنتاج معاملنا ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

- لدى سبب قوى ، يدفعنى إلى هذا الاعتقاد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهرت (مشيرة) ، عند باب المنزل ، وخلفها أحد مصورى (أنباء الفيديو) ، وهى تقول :

- أيها الرائد (نور) .. هل حدث خلاف بينك وبين فريق المخابرات العلمى الجديد ، الذى جاء لتولى قضية الحادث الغامض ، الذى ...

قاطعها (نور) فى صرامة :

- (مشيرة) .. هل تبحثين عن دور جيد فى الأحداث ؟!

ارتبكت لسؤاله المباغت ، وغمغمت فى حيرة :

- بالطبع .

التقط (محمود) الصغير ، وناولها إياه ، وهو يقول فى حسم :

- قومى برعايته إذن ، حتى ننتهى من عملنا .

التقطت (مشيرة) الصغير فى دهشة كبيرة ، وحدقت فى (نور) ، قائلة :

- رعايته ؟!

أغلق (نور) الباب ، قائلاً فى صرامة :

- وبأفضل ما يمكنك .

ارتفع حاجبا المصور فى دهشة ، فى حين تعلق الصغير بـ (مشيرة) ، وداعب وجهها بيده الصغيرة فى توتر ، وكأنما يتأكد من أنها صديقة أمه ، التى يعرفها جيدًا ، فهتف المصور :

- هل يحاول منعنا من أداء عملنا ؟!

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى حنان ، وهى تتطلع إلى الصغير ، ثم عادا ينعقدان فى صرامة ، وهى تلتفت إلى المصور ، قائلة فى صرامة :

- منعنا ؟! لا أحد يمكنه منع الصحافة من مزاولة عملها يا رجل .

ثم عادت تتطلع إلى الصغير ، وقلبها يخفق بحنان دافق ، مستطردة :

– ولكن لدى الآن عمل مهم .. مهم جدًا .

وضمت الصغير إلى صدرها ، مضيفة ، بكل سعادة الدنيا :

– وربما أفضل عمل قمت به ، فى حياتى كلها .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (نور) يفحص البقعة ، التى أصيبت فيها (سلوى) ، بكل اهتمامه وانتباهه ..

كانت هناك إصابات طفيفة ، متناثرة على مساحة واسعة ، على نحو يوحى بأن انفجار كرة النار قد أطلق عشرات من ألسنة اللهب الدقيقة ، التى أصابت الجدران والأرضية ، والأثاثات ، وحتى السقف ..

وفى كل مكان ، كانت هناك آثار احتراقات صغيرة دقيقة ..

ومع توزيع تلك الآثار ، وانتشارها ، كان من الممكن رسم صورة محدودة لذلك الانفجار المكتوم ..

ولكن العجيب أن ذلك الانتشار لم يكن يتناسب مع قوة الوهج ، الذى أغشى عينى (نشوى) ، أو حتى مع حجم كرة النار ، الذى وصفته ..

فما الذى يمكن أن يعنيه هذا إذن ؟!

تردد السؤال فى رأس (نور) ، مع عدد من الأسئلة الأخرى ، التى أقلقته كثيرًا ؟!

ما سر كرة النار تلك ؟!

ولماذا تختار ضحاياها بهذه الدقة ؟!

من أطلقها ؟!

وكيف ؟!

ولماذا ؟!

وهل ؟!

توقفت أفكاره بغتة ، وتجمدت دفعة واحدة ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ويتطلع إلى نقطة صغيرة فى أرضية حجرة المعيشة ..

وفى حرص شديد ، انحنى يتطلع إلى ذلك الشىء ، الذى جذب انتباهه ..

كان شظية صغيرة من الزجاج ، قليلة السمك ، على نحو يستبعد تمامًا كونها قطعة من زجاج النافذة المحطمة ..

وبمنتهى الحذر ، وبوساطة ملقط خاص ، التقط (نور) شظية الزجاج ، ووضعها فى حرص زائد

داخل كيس صغير ، ثم دسّها فى جيبه ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها (أكرم) من الحديقة ، قائلاً :

- لا توجد أية آثار خاصة يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى اهتمام :

- هل فحصت المكان جيدًا ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- بمنتهى الدقة .

هتفت (نشوى) ، فى تلك اللحظة :

- ربّاه ! يبدو أن لدينا شيئًا هنا بالفعل .

أسرع إليها (نور) ، متسائلاً :

- وما هو ؟!

أجابته فى توتر :

- بل قل ما هما ، لأننى عثرت على مشروعين ، لا مشروع واحد .

تمتم (أكرم) ، وهو يتقدم نحوها بدوره :

- حقًا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- نعم .. مشروعان يندرجان تحت بند (السرية المطلقة) ، أحدهما يختص بنوع جديد من كيماويات

الأعصاب ، يؤدى إلى شلل تام بالأعضاء ، دون التأثير فى نبضات المخ الرئيسية ، والآخر يتحدث عن القنابل الموجّهة للأفراد ، باستخدام جهاز تعقب خاص جدًا .

سألها (نور) فى اهتمام :

- وعلام يعتمد جهاز التعقّب هذا .

هزّت رأسها ، مغمغمة :

- هذا غير وارد فى ذلك المستوى من السرية ، وكذلك تركيب كيماويات الأعصاب الجديدة .. الأمر يحتاج إلى الوصول إلى مستوى أعلى .

تساءل (أكرم) فى عصبية :

- أهناك مستوى يفوق (السرية المطلقة) ؟!

هزّت رأسها نفيًا مرة أخرى ، قبل أن تجيب :

- بل (السرية المطلقة) هى التى تنقسم إلى عدة درجات .. بعضها تتاح معرفته لرؤساء الأقسام ، والبعض الآخر لصفوة من رجال المخابرات ، وعلماء مركز الأبحاث ، أما الأمور بالغة الأهمية والخطورة ، فتوضع فى أعلى درجات السرية ، والتى لا يمكن أن يلجها سوى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ومدير مركز الأبحاث ، والعلماء المسئولون عن الأمر فحسب .

تمتم (أكرم) :

- يا إلهى ! أتعلمان ما الذى يعنيه هذا ؟! .

انعقد حاجبا (نور) فى حزم ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .. إنه يعنى أن محاولة تصفيتنا تتم بمعرفة أهل الصفوة .

امتقع وجه (أكرم) ، وهو يغمغم :

- رباه ! هذا يجعل الأمور أكثر صعوبة وتعقيدًا .

اعتدل (نور) ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

- ولكنه لا يعنى أن نستسلم للأمر يا (أكرم) .

هتف (أكرم) ، وهو يتحسّس مسدسه فى حزم :

- بالتأكيد يا (نور) .

ثم تضاعف حماسه وحزمه ، وهو يكرّر :

- بالتأكيد أيها القائد .

التفت (نور) إلى (نشوى) ، وسألها :

- هل يمكنك التوغّل عبر أرشيف المعلومات السرية ، لبلوغ المرحلة المطلوبة ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

- إنهم يستخدمون شفرة شديدة التعقيد ، فى تلك

المستويات العليا ، ولكننى أعتقد أنه ببعض الوقت والجهد ، سيمكننى أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، هتف (أكرم) فى توتر :

- لقد عادوا ..

قالها ، وهو يشير عبر النافذة المحطّمة ، إلى سيارة الرائد (أيمن) وفريقه ، التى تنطلق عائدة إلى المكان ، وخلفها واحدة من سيارات الأمن الضخمة ، المحمّلة بالجنود ..

والتقى حاجبا (نور) فى حزم ، وهو يقول :

- هذا يعنى أن الوقت قد حان ، لنغادر السفينة يا رفاق .

ثم أشار بيده ، مستطردًا ، وهو يتجه نحو الباب الخلفى :

- هيّا بنا .

انطلق ثلاثتهم نحو الباب الخلفى ، حيث ترك (نور) سيارته ، تحسّبًا لظرف كهذا ، ولم تكد السيارة تضمّهم ، حتى انطلق بها (نور) على الفور ، وهو يغمغم :

- هذا يضعنا على الخطوة الأولى ، لأول مهمة نتولى أمرها ، ضد القانون .

قهقه (أكرم) ضاحكا ، والسيارة تبتعد عن المنزل ، وهتف :

- هذا يجعلنا إذن مثل (روبين هود)(*) .. يا للطرافة !

مطت (نشوى) شفتيها ، متمتمة في حنق :

- لست أجد أية طرافة فيما يحدث لنا .. (رمزى) وأمى مصابان ، ونحن نجهل ما سيحيق بهما ، وابنى بعيد عنا ، والكل سيعتبرنا خارجين على القانون .. أية طرافة في هذا بالله عليك ؟!

مع كلماتها ، لمح الرائد (أيمن) سيارة (نور) ،

(*) روبين هود : شخصية خيالية ، لبطل عاش في غابة (شيروود) في (إنجلترا) ، في القرون الوسطى ، كان ينهب الأثرياء لصالح الفقراء ، بسبب اضطهاد وديكتاتورية وطمع الحاكم ، ولقد أشعلت الشخصية خيال الأدباء ، منذ عام ١٥١٠ م ، حيث كانت موضوعا لعشرات القصص والأشعار ، وحتى الأفلام السينمائية ، التي قام ببطولة أحدها النجم العالمي (كيفين كوستنر) .

وهي تبتعد خلف المنزل ، فأدار عجلة قيادة سيارته بمنتهى العنف ، صائحا :

- إنهم يحاولون الفرار .

انعقد حاجبا (مشيرة) في شدة ، وهتفت بالمصور المصاحب لها ، وهي تحتضن (محمود) الصغير في قوة ، وكأنما تحاول حمايته مما يحدث :

- التقط هذا بسرعة يا رجل .. إنها أول مطاردة علنية ، بين فريقين من فرق المخابرات العلمية .

أسرع المصور يلتقط المشهد ، بآلة تصوير الفيديو المجسمة ، في حين تابعت (مشيرة) تلك المطاردة العنيفة ، وهي تغمغم في توتر بالغ :

- يبدو أن الساعات القادمة ستحمل لنا الكثير ..

ولم تدر لحظتها كم كانت نبوءتها صحيحة ..

فالساعات القادمة ستحمل الكثير ..

الكثير جدا ..

★ ★ ★

شبك القائد الأعلى الجديد للمخابرات العلمية المصرية ، أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستمع في انتباه كامل إلى سيل المعلومات ، الذي يتدفق من كل

مكان ، والذى امتزج بصوت الدكتور (جلال) ، الذى يقول فى انفعال :

ـ هل رأيت ؟! هذا ما توقعته بالضبط .. ذلك المقدم المغرور رفض الانصياع للأوامر والقانون .. إنه يصرّ على فعل ما يريد ، على الرغم من أنوفنا جميعًا .

سأله القائد الأعلى فى بطء :

ـ ماذا كنت ستفعل ، لو أنك فى موضعه ؟

هتف الدكتور (جلال) فى غضب :

ـ كنت سأطيع أوامر رؤسائى على الأقل .

قال القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ حتى ولو تعلّق الأمر بأسرتك وأصدقائك ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى صدره ، قائلاً فى حدة :

ـ حتى لو تعلّق بحياتى نفسها .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يفكر فى عمق ، فى حين تابع الدكتور (جلال) فى انفعال شديد :

ـ الرائد (أيمن) يطارده الآن ، وسيظفر به حتمًا ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ مر الرائد (أيمن) بالتوقّف فورًا .

التفت إليه الدكتور (جلال) بمنتهى الحدة ، هاتفًا :

ـ ماذا تقول ؟!

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، وهو يقول فى صرامة أشد :

ـ مُر الرائد (أيمن) بالكف عن مطاردة المقدّم (نور) ، والعودة إلى منزل هذا الأخير فورًا ، لاستكمال تحقيقاته .

احتقن وجه الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكن معنى هذا أن ...

أشار إليه القائد الأعلى ، فى صرامة شديدة للغاية ، وقال :

ـ فليكن .. أترك لى هذه المهمة .

قالها ، وضغط زرًا فى طرف مكتبه ، قائلاً :

ـ من القيادة صفر .. صفر إلى راء عين (١٠٠٣) .. أوقف مطاردة الهدف فورًا ، وعُد لاستكمال عملك .

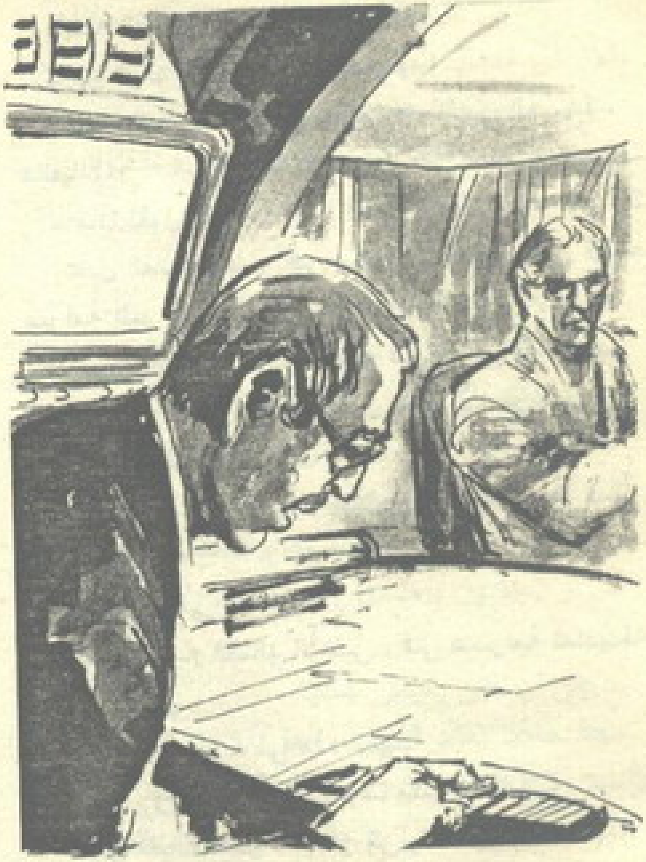

قالها ، وضغط زرًا فى طرف مكتبه ، قائلاً :

- من القيادة صفرْ .. صفر إلى راء عين (١٠٠٣) ..

أتاه صوت الرائد (أيمن) ، يهتف مستنكرًا :

- أوقف ماذا ؟! إننا قاب قوسين أو أدنى منهم ، و .....

صاح به القائد الأعلى فى عنف :

- قلت أوقف المطاردة ، وعد لاستكمال عملك يا راء عين (١٠٠٣) ، وإلا حولتك لتحقيق عاجل ، بتهمة عصيان الأوامر .. هل تفهم ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وكأنما لا يصدق رد فعل القائد الأعلى ، فى حين ران الصمت على أجهزة الاتصال بضع لحظات ، قبل أن يعبرها صوت الرائد (أيمن) ، وهو يقول فى شىء من العصبية :

- فليكن يا صفر .. صفر .. فليكن .

انتهى الاتصال ، فهتف الدكتور (جلال) ، بكل توتر الدنيا :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى صرامة ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً فى حدة :

- يعنى أن الأمر ليس بالبساطة التى تتعاملون معه بها .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره كله ، وهو يتطلع إلى خريطة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، وقد بدت عليها نقطة متحركة مضيئة ، تشير إلى موضع سيارة (نور) ، قبل أن يضيف ، بمزيج من الحزم والحسم والصرامة :

- هناك وسائل أخرى للتعامل .

وبرقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

- وسائل حاسمة .

وانعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتطلع إليه فى حيرة ..

حيرة بلا حدود ..

★ ★ ★

« لقد توقفوا عن مطاردتنا ! »

غمغم (أكرم) بالعبارة فى حيرة ، وهو يتطلع عبر مرآة السيارة الجانبية ، إلى سيارة فريق الرائد (أيمن) ، وهى تستدير مبتعدة ، وعائدة من حيث أتت ، فانعقد حاجبا (نور) فى تفكير ، وهو يقول :

- عجبًا ! لقد أوشكوا على الظفر بنا بالفعل .

قالت (نشوى) فى دهشة :

- لماذا توقفوا إذن ؟!

عجز (أكرم) عن منحها جوابًا شافيًا ، فتطلع إلى (نور) فى تساؤل ، فى حين ازداد انعقاد حاجبى هذا الأخير ، على نحو يشف عن انغماسه أكثر وأكثر ، فى تفكير بالغ العمق ، قبل أن ينحرف بالسيارة بغتة ، فهتفت به (نشوى) :

- أبى .. كدت أفقد توازنى .

أما (أكرم) ، فتساءل فى قلق حائر :

- إلى أين يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- سنذهب للاطمئنان على (سلوى) ، فى المستشفى العسكرى .

هتف (أكرم) و (نشوى) فى آن واحد ، وبمنتهى الدهشة :

- ماذا ؟!

ثم اندفع (أكرم) يكمل فى عصبية :

- أى قول هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حسم ، وهو يتجه نحو المستشفى العسكرى :

- ليس مجرد قول يا (أكرم) .. إنها الوسيلة الوحيدة لحسم الأمر ، فمعلوماتى السابقة عن الرائد (أيمن) ، وطبيعته العدوانية ، تجعل عدوله عن مطاردتنا ، بعد أن صار قاب قوسين أو أدنى منا أمرًا غير طبيعى على الإطلاق ، إلا إذا ...

هتفت (نشوى) فى لهفة :

- إلا إذا ماذا ؟!

أجابها فى حزم :

- إلا إذا تلقى أمرًا صارمًا بهذا .

قال (أكرم) فى عصبية أكثر :

- ومن سيأمره بهذا ؟! ولماذا ؟! لقد خرقنا القانون ، وتحدينا الجميع بالفعل ، فمن يمكن أن ...

قاطعه (نور) :

- القائد الأعلى .

هتفت (نشوى) :

- رباه ! هذا يعنى إذن أن القائد الأعلى فى صفنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يلوذ بالصمت لبضع

لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- هذا يعيدنا إلى القول نفسه ... إلا إذا ..

قال (أكرم) ، فى عصبية شديدة :

- إنه دورى إذن ، لأسألك : إلا إذا ماذا يا (نور) ؟!

انعقد حاجبا (نور) أكثر وأكثر ، وأطلت من عينيه نظرة شديدة التوتر ، دون أن يجيب تساؤل (أكرم) ، الذى مال إلى الأمام ، قائلًا :

- قل لى يا (نور) .. إلا إذا ماذا ؟!

لم يكد يتم تساؤله ، حتى وقع بصره على المرآة الداخلية للسيارة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وتدلى فكه الأسفل فى دهشة وذعر ، جعلا (نشوى) تلتفت خلفها ، لتلقى نظرة على ما أثار دهشتهما وتوترهما إلى هذا الحد ..

ولم تكد تفعل ، حتى اتسعت عيناها عن آخرهما ، حتى كادتا تثبان من محجريهما ، وخفق قلبها على نحو لم يحدث فى حياتها كلها ، وانتفض جسدها .. بل كيانها كله ، وكأنما هوت على رأسها ألف ألف صاعقة ، قبل أن تنطلق من حلقها صرخة ذعر مدوية ، فى نفس اللحظة التى زاد فيها (نور) من

سرعة سيارته ، على نحو يتجاوز كل الأعراف والقوانين ..

فخلف السيارة مباشرة ، وبسرعة مخيفة ، كانت تنطلق كرة ..

كرة من النار ، لها لون أخضر عجيب ، بدأ يتحوّل إلى الأزرق الفيروزى ..

وكان هذا يعنى أن كرة النار قد اختارت ضحيتها الجديدة ..

واستعدّت للانقضاض ..

بمنتهى العنف ..

* * *

٤ ـ الضحية ..

نهض رئيس قسم العناية الخاصة ، فى المستشفى العسكرى باحترام بالغ ، ليصافح الرجل الهادئ القصير الوقور ، ذا الشعر الأشيب ، الذى مد يده إليه قائلاً فى رصانة محبّبة :

ـ الدكتور (هادى جمال الدين) ، من مركز أبحاث المخابرات العلمية .

صافحه رئيس القسم بحرارة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا دكتور (هادى) .. الواقع أننا كنا نتوقّع وصول أحدكم ، منذ وصلت إلينا السيّدة (سلوى) ، بنفس الحالة التى وصل بها الدكتور (رمزى) ؛ فنحن نعلم أن كليهما ينتمى إلى فريق المقدّم (نور) الشهير ، و ..

قاطعه الدكتور (هادى) ، على نحو يتنافى مع وقاره الملحوظ ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ ما الذى توصلتم إليه بشأنهما ، حتى هذه اللحظة؟

مطّ رئيس القسم شفتيه لحظة ، وكأنما يعترض

على تلك المقاطعة ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه ، وهو يجيب :

- الواقع أن الأمر محيّر للغاية يا دكتور (هادى) ؛ فحروق الجسم ليست خطيرة ، على الرغم من انتشارها ، ولكن تلك الغيبوبة العميقة تسيطر على كيانهما كله ، فى نفس الوقت الذى تشير فيه إشارات المخ إلى منتهى الحيوية والنشاط .

هزّ الدكتور (هادى) رأسه متفهمًا ، وقال :

- هناك حتمًا تفسير لهذا .

أجابه رئيس القسم فى سرعة :

- بالتأكيد ، فلقد استعنا برجال المعامل المركزية ، الذين حصلوا على عينات من كل شىء .. ملابس المصابين ، وشعرهما ، وأظفارهما ، وبشرتيهما .. حتى الأجزاء غير المصابة منهما .

انعقد حاجبا الدكتور (هادى) ، وهو يسأل :

- ولماذا كل هذا ؟!

قلب رئيس القسم كفه ، قائلاً :

- لدينا نظرية تقول : إنه من المحتمل أن يكون سبب هذه الحروق ليس إصابة مباشرة من النيران ،

خاصة وأنها مجرد حروق من الدرجة الأولى ، وإنما هى أشبه بالحروق الناشئة عن الكيماويات .

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (هادى) ، وهو يغمغم:

- كيماويات ؟!

أومأ رئيس القسم برأسه مؤيدًا ، وهو يتابع بشىء من الحماس :

- نعم ..الكيماويات .. توزيع الحروق وانتشارها على هذا النحو ، يوحى بأن الضحيتين تعرّضتا لانفجار جسم يحوى مادة كيماوية حارقة ، على مسافة قريبة منهما .. هذه هى نظريتنا ، التى نحاول إثباتها ، عن طريق فريق المعامل المركزية ، الذين يبذلون قصارى جهدهم الآن ، لكشف طبيعة تلك المادة الكيماوية المجهولة ، التى يتمّ امتصاصها عن طريق مسام الجلد الخارجية على الأرجح ، والتى تسبّب هذه الغيبوبة غير المنطقية .

رمقه الدكتور (هادى) بنظرة صامتة طويلة ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- ترى من وضع هذه النظرية ؟!

اعتدل رئيس القسم ، وأشار إلى صدره بشىء من الزهو ، مجيبًا :

- أنا بالطبع .

ثم هز كتفيه ، مستطردًا بابتسامة فيها شيء من الحرج :

- ولكننا ناقشناها جميعًا بالطبع .

أومأ الدكتور (هادى) برأسه ، مغمغمًا :

- يمكننى فهم هذا .

ثم تابع فى لهجة آمرة :

- والآن ، دعنا نلق نظرة على المصابين .

قال رئيس القسم ، فى حماس غير مبرر :

- بالطبع .

واستمرارًا لنفس الحماس ، غير المتناسب مع الموقف ، اصطحبه رئيس القسم إلى حجرة العناية الخاصة ، التى يرقد داخلها (رمزى) ، فى تلك الغيبوبة غير الطبيعية ، فألقى عليه الدكتور (هادى) نظرة طويلة ، قبل أن يلتفت إلى رئيس القسم ، قائلاً بنفس اللهجة الحازمة الآمرة :

- اتركنا وحدنا .

قال رئيس القسم فى حيرة :

- وحدكما ؟! أتعنى أنت والمصاب ؟! ولكن لماذا ؟! هل ....

بتر عبارته بغتة ، مع تلك النظرة الصارمة ، المطلة من عينى الدكتور (هادى) ، وأطلق ضحكة عصبية مرتبكة ، وهو يكمل :

- آه .. فهمت .. إنها أمور سرية .. أليس كذلك ؟!

ابتسم الدكتور (هادى) ابتسامة باردة ، فتراجع رئيس القسم ، ولوح بيده ، قائلاً :

- فليكن .. ثق أن أحدًا لن يقاطعك ، حتى تنتهى من عملك تمامًا .. سآمر الجميع بعدم إزعاجك ، مهما كانت الأسباب .

غمغم الدكتور (هادى) فى برود :

- بالطبع .

غادر رئيس القسم الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى هدوء ، وكأنما يخشى إزعاج من بداخلها ، ولم يكد يفعل ، حتى التفت الدكتور (هادى) إلى (رمزى) الراقد أمامه ، وقال بلهجة ساخرة :

- مرحبًا يا دكتور (رمزى) .. أعلم أنك تسمعنى جيدًا ، وتفهم كل حرف أنطق به .. الجميع هنا

يتصورون أنك غارق فى غيوبة عميقة . ومن المؤكد أن أحدا منهم لا يدرك أن جسدك مصاب بشلل كامل فحسب ، ولكن حواسك الخاصة كلها تعمل بكفاءة تامة(*).

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يلتقط حقيبته ، مستطردا :

- حتى هذه اللحظة .

وفى هدوء ، راح يخرج أدواته الخاصة ، وابتسامته الساخرة الظافرة تتسع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

لم يكد (نور) يلمح كرة النار ، عبر مرآة السيارة ، حتى قفز سؤال واحد مخيف إلى رأسه ..

(*) الحواس الخاصة : يطلق مصطلح الحواس الخاصة فى عالم الطب (Special Sense) على ما يعرفه العامة باسم الحواس الخمس . وهى البصر . والسمع . والكلام . واللمس . والشم . باعتبار أن لكل منها خيوطا عصبية خاصة . ذات سمات متخصصة للغاية . تختلف عن تلك الخيوط العصبية الحركية والحسية الأخرى .

ترى من ضحيتها هذه المرة ؟!

هو ، أم (أكرم) ، أم ...

يا إلهى ! لا يمكن أن يكون الهدف هذه المرة هو ابنته !

(نشوى) !

ولم يكد ذلك الخاطر يقفز إلى ذهنه ، حتى ضغط دواسة الوقود ، وزاد من سرعة السيارة إلى الحد الأقصى ، الذى يمكن أن ينطلق به ، وسط طرقات المدينة ..

وبسرعة مخيفة ، انطلقت كرة النار خلفه ..

وبسرعة أيضا ، تحول لونها إلى الأزرق ، ثم بدأ مرحلة تحوله إلى البنفسجى ..

وصرخت (نشوى) :

- رباه ! إنها تستعد للهجوم ..

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه ، وهو يقول فى حزم عصبى :

- فليكن .. لقد أصبح من حقنا إذن أن ندافع عن أنفسنا .

ثم دفع جسده ، عبر زجاج النافذة ، ولكن (نور) جذبه فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ هل جننت ؟! ستصيب عشرات المارة ، قبل أن تظفر بها .

هتف (أكرم) ، وهو يحاول التملص منه فى قوة :

ـ سأحسن التصويب .

صرخ (نور) ، وهو ينحرف بالسيارة ، فى حركة حادة للغاية :

ـ قلت : لا .

أعادت انحرافته العنيفة (أكرم) إلى السيارة ، التى قفز بها (نور) خارج الطريق العادى ، عبر طريق جانبى ضيق ، فى محاولة لبلوغ الطريق الدائرى ، الذى يتيح له الانطلاق بأقصى سرعة تسمح بها محركات سيارته الصاروخية ..

وبزاوية حادة للغاية ، انحرفت كرة اللهب خلفه ، وزادت من سرعتها ، ولونها البنفسجى ينسحب فى بطء ، عائدًا إلى اللون الأزرق ، قبل أن تستعيد لونها البنفسجى مرة أخرى ..

ولمحت عينا (نور) تلك الظاهرة ، فى جزء من الثانية ..

وبسرعة البرق ، وبينما كان ينحرف بالسيارة فى عنف ، عند نهاية الطريق الضيق ، ليقفز إلى الطريق الدائرى ، انطلق عقله يحلل الموقف كله ..

لقد تراجع لون كرة النار ، عندما اتسعت المسافة بينها وبين السيارة لبضع لحظات ، ثم استعادته ثانية ، عندما زادت من سرعتها ..

هناك شىء ما يربطها بالسيارة ..

أو بأحد ركابها ..

شىء يتسبب فى تغيُّر ألوانها ، على هذا النحو ..

نفس ما وصفته (نشوى) من قبل ..

الألوان تتغيَّر ، من الأخضر إلى الأزرق ، فالبنفسجى ، ثم الأحمر ..

وعندئذ ، يحدث الهجوم ..

وبمنتهى العنف ..

كانت كرة النار تقترب أكثر وأكثر ، ولونها يتحوَّل إلى الأحمر فى بطء ، و ...

وبلغ (نور) بداية الطريق الدائرى ..

وبكل قوته ، جذب ذراع المحرِّك الصاروخى الإضافى ..

وانطلقت النيران من أنابيب العادم الخاصة ، فى مؤخرة السيارة ..

وتضاعفت السرعة دفعة واحدة ، لتبلغ ثلاثمائة كيلو متر فى الساعة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد ظلّت المسافة بينها وبين كرة النار ثابتة تقريبًا ..

كان لونها يتأرجح ، ما بين الأحمر والبنفسجى ، كلما تزايدت المسافة بينها وبين السيارة ، أو تناقصت لمتر أو مترين ..

وزاد (نور) من ضغطه على دواسة الفرامل أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وقفز مؤشر السرعة إلى ثلاثمائة وخمسين كيلومترًا فى الساعة ..

ثم إلى أربعمائة كيلومتر ..

وتضاعفت سرعة كرة النار أيضًا ، على نحو مخيف ..

وبكل دهشته وتوتره ، وحيرته ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! لو أنه يمكنها بلوغ هذه السرعة ، فلم لم تلحق بنا منذ البداية ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ يبدو أنها تكتسب طاقتها وسرعتها منا .. شىء ما بداخلها ينجذب إلينا ، على نحو يجعل الانفصال مستحيلا .

أجابه (أكرم) فى حزم عصبى :

ـ إلا إذا .

قالها ، وانحنى يضغط زر سقف السيارة المتحرك ، الذى انزاح فى نعومة إثر ضغطته ، كاشفًا جزءًا مستطيلاً من السقف ، دفع (أكرم) جسده عبره ، وصوّب مسدسه إلى كرة اللهب ، مضيفًا ، بكل حزم وصرامة الكون :

ـ نسفناها قبل أن تنسفنا .

كانت سيارة (نور) تنطلق بسرعة مخيفة ، فى طريق غير مخصص للمارة على الإطلاق ، لذا فهو لم يعترض ، عندما صوّب (أكرم) مسدسه إلى كرة النار هذه المرة ، وإنما هتف فى انفعال :

ـ نعم .. افعلها يا رجل .. افعلها ..

ومع هتافه ، ضغط (أكرم) زناد مسدسه التقليدى ..

وانطلقت رصاصاته نحو الهدف ..

نحو كرة النار ، التى صارت على مسافة متر واحد من السيارة ، وقد صار لهيبها أحمر بلون الدم ..

وعلى الرغم من السرعة الفائقة ، سمع (أكرم) صوت رصاصات مسدسه ، وهى ترتطم بالكرة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن رصاصاته الثلاث لم تفلح فى نسفها ..

بل على العكس ، لقد تضاعفت سرعتها على نحو مخيف ، وهى تتجه نحوه مباشرة ..

وفى لحظة واحدة ، أدرك (نور) و (نشوى) و (أكرم) ، من هى الضحية التالية ..

وفى نفس اللحظة ، هتف (أكرم) :

ـ اللعنة !

ومع هتافه ، قطعت كرة اللهب تلك المسافة ، التى كانت تفصلها عنه ، و ...

وانفجرت ..

وانطلق وهج أحمر رهيب ، يغمر مسافة ثلاثة أمتار كاملة ، فى نفس اللحظة ، التى شعر فيها (أكرم) برذاذ قوى ، يتناثر على جسده ، ويلهب جلده فى عنف ..

وصرخت (نشوى) :

ـ لا .. لا ..

أما (نور) ، فقد أمسك مقود السيارة فى قوة ، وهو يضغط فراملها ، للتخفيف من سرعتها الفائقة ، إزاء ذلك الوهج ، الذى أغشى عينيه تمامًا ..

وإلى جواره ، شعر بجسد (أكرم) يسقط ، وسمع صرخة (نشوى) المتصلة ، و ...

وفجأة ، اتضحت الرؤية أمامه ..

واتسعت عيناه فى ذعر ..

فعلى الرغم من انخفاض سرعة السيارة ، كانت تنطلق بسرعة كبيرة نسبيًا ، نحو حاجز الطريق ، الذى يرتفع عشرين مترًا عن الطرق المحيطة به ..

وقبل أن تتحرك قدم (نور) ، لتضغط فرامل السيارة ، حدث الارتطام ..

وصرخت (نشوى) مرة أخرى ، بكل رعب الدنيا ، فى حين هوت سيارة (نور) ..

من ارتفاع عشرين مترًا ..

* * *

« شفرة الدخول الرئيسية هى (واو .. دال .. ألف

أما (نور) فقد أمسك مقود السيارة فى قوة ، وهو يضغط فراملها ، للتخفيف من سرعتها الفائقة ..

وواحد .. ألفا .. أربعمائة وسبعة) أما شفرة دخول قاعة الفريق ، فهى ... »

امتدت يد تضغط زر إيقاف جهاز التسجيل الدقيق جدًا ، فتوقف البث على الفور ، وانقطع صوت (رمزى) المسجّل ، فى حين قال صاحب اليد فى هدوء عجيب ، ولهجة باردة كالثلج :

ـ عظيم .. المعلومات التى حصلت عليها ، من (رمزى) و (سلوى) ممتازة للغاية ، وستضيف إلينا الكثير .

ابتسم ذلك الأشيب الوقور ، الذى استخدم بالمستشفى اسم الدكتور (هادى) ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أن المعلومات ، التى يمكن الحصول عليها من المقدّم (نور) ستكون أكثر أهمية وخطورة .

قال صاحب اليد فى هدوء ، وهو يداعب ذقنه بأصابعه فى بطء :

ـ ليس لدينا أدنى شك فى هذا .

سأله (هادى) فى شىء من الحيرة :

ـ اسمح لى بسؤال يا سيدى .. ما دامت معلومات المقدّم (نور) أكثر أهمية وخطورة إلى هذا الحد ،

فلماذا لم نطلق كرة النار خلفه منذ البداية ؟!

أشار الرجل بسبابته ، قائلاً :

ـ خطأ يا رجل .. أكبر خطأ .. لو أننا بدأنا بالهجوم على المقدم (نور) ، لقامت الدنيا ولم تقعد ؛ لأن الجميع يدركون أهمية موقعه ، فى إدارة المخابرات العلمية ، ولأحاطوه حتمًا بحراسة مكثفة ، وبعناية فائقة ، تمنعنا من مجرد الاقتراب منه . أما الآن ، فنحن نحصل على سيل من المعلومات المهمة والسرية ، كلما أوقعنا بواحد من أفراد فريقه ، وعندما تحين لحظة الإيقاع به ، ستكون لدينا حصيلة مناسبة من المعلومات ، لا تنقصها سوى تلك التى تسد الفجوات فحسب .

سأله (هادى) فى اهتمام :

ـ ومتى سنضرب ضربتنا الكبرى ؟!

أجابه الرجل ، ببروده المدهش :

ـ عندما تحين اللحظة المناسبة .

تردد (هادى) بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى حذر :

ـ ومتى تحين تلك اللحظة المناسبة ؟!

صمت الرجل بضع لحظات ، وهو يتطلع إليه فى برود ، ثم لم يلبث أن قال فى شىء من الغلظة والخشونة :

ـ قريبًا .

ثم نهض من مقعده الضخم الوثير ، وقطع الحجرة فى خطوات هادئة ، بدت لـ (هادى) كما لو أنها لا تمس الأرضية المكسوة بفراء سميك ، قبل أن يتوقف أمام كرة زجاجية كبيرة مفرغة ، ويضع يمناه عليها ، مضيفًا بصوت تجمدت حروفه ، من شدة برودتها :

ـ قريبًا جدًا .

ومع آخر حروف كلماته ، دوت فرقعة مكتومة داخل الكرة الزجاجية الكبيرة ، ثم تكونت فى مركزها تمامًا كرة أخرى ..

كرة من نار ..

* * *

لم يكن باستطاعة (نور) أبدًا تفادى ما حدث .. لقد أغشى ذلك الوهج الأحمر عينيه تمامًا ، وهو ينطلق بسرعة تتجاوز الثلاثمائة متر فى الساعة .

وبكل العنف ، سقط جسد (أكرم) إلى جواره ..

وارتطم به ..

ثم تلاشى الوهج ..

وظهر الحاجز ..

وحدث الارتطام ..

وفى ثانية واحدة ، وجد (نور) سيارته تهوى ..

من ارتفاع عشرين مترا ..

وكان هذا يعنى الموت حتما ..

وبأعنف صورة ممكنة ..

إلا إذا ...

ففى نفس اللحظة ، التى مالت فيها مقدمة السيارة إلى الأمام ، كشف (نور) أنها لا تهوى نحو الأرض ..

وإنما نحو النيل ..

نهر النيل ..

شريان الحياة الرئيسى لـ (مصر) ..

فعند منطقة الارتطام ، كان الطريق الدائرى يعبر نهر النيل ..

من حسن الحظ ..

لذا فقد هوت السيارة نحو النيل ..

وارتطمت بالمياه الباردة فى عنف ..

ثم غاصت فى سرعة كالحجر ..

وبكل سرعته وقوته ، انتزع (نور) حزام الأمان ، الذى يربطه إلى مقعده ، وهو يهتف بابنته (نشوى)، التى لم ينقطع صراخها لحظة واحدة ، والمياه تتدفق فى سرعة مدهشة ، عبر فتحة السقف :

ـ انتزعى حزام مقعدك ، واسبحى إلى السطح بسرعة .

هتفت فى ذعر ، وهى تحلّ حزام مقعدها :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟!

صاح فى حدة :

ـ لا تشغلى أمرك به .. اسبحى إلى الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، غمرت المياه السيارة تماما ، فجذب إليه ابنته ، ودفعها عبر فتحة السقف ، وهو يشير إليها بالصعود ..

وبكل ذعرها وتوترها ، وقوتها ، راحت (نشوى) تضرب الماء بذراعيها ، صاعدة إلى السطح ، فى حين جذب (نور) جسد (أكرم) الفاقد الوعى ، ودفعه عبر فتحة السقف ، ثم دفع نفسه خلفه ، وأمسكه فى قوة ، وهو يضرب الماء بذراعيه بدوره ،

ليصعد مع (أكرم) إلى السطح ، تاركًا السيارة خلفه تغوص فى مياه النيل أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

كانت المياه مضطربة معكرة بشدة ، والسيارة الغارقة تصنع خلفها موجة جذب ، تشده فى عنف إلى الأعماق ، إلا أنه أمسك جسد (أكرم) بمنتهى القوة ، وهو يضرب الماء بذراعيه فى عنف أكثر ..

ثم لاح الضوء بأعلى ..

وضرب (نور) الماء بقدميه وذراعه ..

وارتفع رأسه فوق سطح الماء ..

وبكل لهفته ، ملأ صدره بالهواء النقى ، وهو يرفع رأس (أكرم) فوق سطح الماء ، ويهتف بابنته (نشوى) :

– (نشوى) .. أين أنت ؟!

كانت قد بلغت الشاطئ ، وهى تهتف :

– أنا هنا بخير يا أبى .. أين (أكرم) ؟!

راح (نور) يسبح نحوها ، هاتفًا :

– إنه معى .. ولكن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، وذهنه يستعيد مشهد (رمزى) و(سلوى) ، بحروقهما المنتشرة فى جسديهما ، وتلك الغيبوبة العميقة ، التى غرقا فيها ، وعضّ شفتيه فى مرارة ، وهو يسبح نحو الشاطئ ، جاذبًا (أكرم) خلفه ، و (نشوى) تهتف :

– هل .. هل أصابه ما أصابهما ؟!

لم يستطع (نور) إجابتها ، حتى بلغ الشاطئ بدوره ، وجذب إليه جسد (أكرم) فى سرعة ، وهو يهتف :

– رباه ! هل سيتساقط الجميع ؟! هل نجحوا فى القضاء علينا ؟!

كان جسد (أكرم) ساكنًا هامدًا تمامًا ، وقد انتشرت الحروق البسيطة فى وجهه وصدره ويديه ، فامتقع وجه (نشوى) ، وهى تتراجع فى رعب ، هاتفة :

– يا إلهى ! يا إلهى !

مع ما أصاب (سلوى) و (رمزى) ، لم يكن لدى (نور) أى أمل ، فى إنقاذ (أكرم) مما أصابه ،

وعلى الرغم من هذا ، فقد وضع أحد كفيه فوق الآخر ، وراح يضغط بهما صدر (أكرم) فى قوة ، لتدليك قلبه ، وانحنى يملأ فمه ورئتيه بأنفاس صدره ، لدفع جهازه التنفسى إلى العمل ، وطرد المياه ، التى تسللت إلى رئتيه ، و ...

وفجأة ، سعل (أكرم) ..

وانتفض جسد (نشوى) فى عنف ، وهى تحدق فيه ، هاتفة :

ـ ربّاه ! لقد .. لقد ..

قبل أن تكمل عبارتها ، كان (نور) يجذب كتفى (أكرم) ، ويربت على ظهره فى قوة ، وقلبه يخفق فى لهفة بلا حدود ..

وسعل (أكرم) مرة ثانية ..

وثالثة ..

ومع سعاله ، طردت رئتاه ما بهما من ماء ..

وفى بطء ، فتح (أكرم) عينيه ، وغمغم فى صعوبة :

ـ ربّاه ! إنها ليست غيبوبة يا (نور) ..

سأله (نور) فى دهشة :

ـ ليست ماذا ؟!

أشار (أكرم) بسبابته ، وزاغت عيناه على نحو مخيف ، وهو يقول فى ضعف :

ـ لقد كنت أشعر بـ ... بـ ...

سأله (نور) فى لهفة :

ـ كنت تشعر بماذا يا (أكرم) .

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

وارتجفت شفتاه على نحو مقلق ، وجفناه يسقطان على عينيه ، وسبابته المرفوعة تهوى مع يده إلى جواره ..

ثم تراخى جسده ..

تراخى تمامًا .

* * *

٧ ـ ملف المستقبل عدد ١٢٥ : كوكب الـ...

٥ ـ خطـوة فخطـوة ..

أدى الرائد (أيمن) التحية فى حماس ، أمام القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى أشار إليه فى هدوء ، قائلاً :

ـ ما الذى توصلت إليه حتى الآن ، أيها الرائد (أيمن) ؟!

شدّ (أيمن) قامته ، فى وقفة عسكرية حازمة ، وهو يجيب :

ـ لقد فحصنا كل شبر فى المكان يا سيدى ، طبقًا لأوامرك ، واستخدمنا جهاز تحليل فائق الدقة والسرعة ، وخاصة بالنسبة للأجزاء المصابة ، من جدران منزل المقدم (نور) وأثاثه ، فى البقعة التى افترضنا حدوث الإصابة المباشرة عندها ، وفى دائرة نصف قطرها متر واحد حولها .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وما الذى عثرتم عليه ؟!

هزّ (أيمن) رأسه ، فى توتر ملحوظ ، قبل أن يجيب ، فى شىء من العصبية :

ـ مادة كيماوية ، ذات تأثير حمضى خفيف ، وبقايا زجاجية رفيعة دقيقة ، تبدو كما لو أنها ناشئة من تحطُّم جسم زجاجى هش .

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، متسائلاً :

ـ وما نوع تلك المادة الكيماوية ؟!

تضاعف توتر (أيمن) وعصبيته ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا سيدى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ لست تدرى ؟! ما الذى تعنيه بأنك لست تدرى أيها الرائد ؟! إن فريقك يمتلك أحدث وأدق جهاز تحليل سوائل ، فى العالم كله ، ولديكم القدرة على تحديد نوع أى مادة ، من بين أكثر من ثلاثين ألف نوع ، من المواد البسيطة والمركبة ، الطبيعية والصناعية ، بنسبة دقة تبلغ تسعة وتسعين فى المائة .

قال (أيمن) فى عصبية :

ـ هذه المادة ليست من بين الثلاثين ألف نوع يا سيدى .

حدق القائد الأعلى فى وجهه لحظة بدهشة ، قبل أن يتراجع مرة أخرى فى مقعده ، ويفرك كفيه فى توتر ، قائلاً :

ـ هلا أعدتم الفحص مرة أخرى ؟

ـ لقد أعدنا الفحص والتحليل ست مرات يا سيدى ، وكانت النتيجة واضحة فى كل مرة ، على نحو لا يقبل الشك .. مادة مجهولة ، مركبة من ستة عناصر ، لم يتمَّ التعرُّف سوى على أربعة منها .. الكربون ، والفسفور ، والصوديوم ، والنيتروجين ..

عاد القائد الأعلى يحدق فى وجهه بضع لحظات ، بدهشة بلغت ذروتها ، قبل أن يميل إلى الأمام ، ويسند مرفقيه إلى سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى بأنه هناك عنصران لم يتم تعرُّفهما أيها الرائد ؟! أنت تعلم أن كل عنصر فى الوجود

معروف تماماً(*) ، بوزنه الذرى ، وتكافئه(**) ، ونقاط غليانه وانصهاره ، وكل العوامل الأخرى ، والكمبيوتر يحفظ كل العناصر عن ظهر قلب ، فكيف يفشل فى تعرُّف عنصرين فى مادة مركبة ؟!

أجاب (أيمن) فى عصبية :

ـ لست أدرى كيف يمكن أن يحدث هذا !!

ثم انعقد حاجباه فى توتر شديد ، وهو يضيف :

(*) العنصر : فى الكيمياء ، مادة لا يمكن تحللها إلى أبسط منها ، ولكل عنصر رمز ، ووزن ذرى خاص ، وتختلف العناصر فى تكافئها ، ونقطتى غليانها وانصهارها ، وفى الثقل النوعى ، والكثافة ، والصلادة ، والحرارة النوعية ، وطيف الانبعاث ، والنشاط الإشعاعى ، وقابلية الطرق والسحب ، والمرونة والتمدد بالحرارة ، وقدرتها على توصيل الكهرباء ، ولقد تم ترتيب العناصر طبقاً لأوزانها الذرية ، فيما يعرف باسم (الجدول الدورى الحديث) .

(**) التكافؤ : هو القدرة النسبية لعنصر ما ، على الاتحاد مع عنصر آخر ، ووحدة القياس فى هذا الشأن ، هى قدرة الهيدروجين على الاتحاد بأى عنصر ، أو على أن يحل محل أى عنصر آخر ، ويفسر التكافؤ بعدد الإليكترونات ، وترتيبها خارج نواة الذرة .

- ولكنه حدث .

تراجع القائد الأعلى مرة أخرى فى بطء متوتر ، ثم سأل فى بطء حذر :

- تقول إنكم راجعتم التحاليل ست مرات ؟!

أومأ (أيمن) برأسه إيجابًا ، وقال :

- ولم نكتف بهذا يا سيدى ، وإنما أرسلنا عينة من المادة إلى مركز الأبحاث أيضًا ، ليشاركونا محاولتنا .

تطلع إليه القائد الأعلى ، فى صمت حائر متوتر لبعض الوقت ، قبل أن يسأل :

- وماذا عن عينات الزجاج ؟!

أجابه (أيمن) فى سرعة :

- لقد أرسلناها كلها إلى مركز الأبحاث العلمية يا سيدى ، فلم تكن لدينا أجهزة مناسبة لتحليلها .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، ثم رفع عينيه إليه ، متسائلا :

- ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

هز (أيمن) رأسه فى حيرة ، قائلا :

- لست أدرى يا سيدى .. إننى أنتظر النتائج ؛ لوضع تصور متكامل للموقف .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وهو يغمغم :

- تنتظر النتائج ؟! آه .. فهمت .

صمت لحظة أخرى مفكرًا ، ثم رفع عينيه إليه ، قائلا فى حزم :

- فليكن أيها الرائد .. واصل عملك ، وأبلغنى ما تتوصل إليه من نتائج أولا فأولا .

أدى (أيمن) التحية العسكرية ، وهو يقول فى قوة :

- أمرك يا سيدى .

ثم بدا عليه التردد لحظة، قبل أن يتساءل فى حذر :

- وماذا عن المقدم (نور) يا سيدى ؟!

سأله القائد الأعلى فى حدة :

- ماذا عنه ؟!

ارتبك (أيمن) ، وهو يلوح بيده ، وتردد أكثر ، قبل أن تنفرج شفتاه عن صوت كالهمهمة :

- لقد تجاوز القانون هو وزميله وابنته ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

- لا تشغل نفسك بشأن المقدم (نور) .

سأله (أيمن) فى حيرة :

- ماذا تعنى يا سيدى ؟! هل ..

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، فى صرامة أشد :

- قلت لك : لا تشغل نفسك بشأنه .. هذا أمر يخصنى وحدى .

احتقن وجه الرائد (أيمن) فى حنق ، إلا أنه عاد يؤدى التحية العسكرية ، قائلا :

- كما تأمر يا سيدى .

ثم استدار مغادرا الحجرة ، ولم يكد بابها ينغلق خلفه ، حتى انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يردد :

- عنصران مجهولان ؟!

ونهض من خلف مكتبه ، يتطلع إلى خريطة المدينة ، التى اختفت منها تلك النقطة المضيئة تماما ، وأخذ يحك ذقنه بأصابعه فى توتر شديد ، وقد احتل ذهنه كله أمر واحد ..

(نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ..

* * *

ارتسمت دهشة بالغة ، على وجوه العاملين بالمستشفى العسكرى ، عندما شاهدوا (نور) و(نشوى) يندفعان إلى المكان ، وقد ابتلا تماما ، والأول يحمل (أكرم) الفاقد الوعى على كتفه ، هاتفا :

- الطبيب .. أريد طبيب قسم الطوارئ بأقصى سرعة .

أسرع فريق من الأطباء والممرضين لمعاونته ، وتم نقل (أكرم) إلى محفة ، انطلقت به إلى حجرة الفحص ، وأحاط به فريق آخر ، يفحصه باهتمام بالغ ، فى حين سأل أحد الأطباء (نور) فى دهشة :

- ماذا أصابكم ؟! هل سقطت سيارتكم فى النيل ؟!

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً فى توتر :

- تخمين صائب للغاية .

سأله الطبيب :

- كيف أتيتم إلى هنا إذن ؟! ولماذا لم تستدع سيارة إسعاف ؟!

أجابته (نشوى) فى صوت أقرب إلى البكاء :

- لم يكن هناك وقت لهذا .. لقد أوقفنا إحدى السيارات ، وتكرّم قائدها بنقلنا إلى هنا على وجه السرعة .

خرج طبيب من حجرة الفحص ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول فى توتر :

- دكتور (حسن) .. الأفضل أن تلقى نظرة على هذه الحالة .. إنه ..

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ مصاب بحروق من الدرجة الأولى ، مع غيبوبة عميقة ، لا تتناسب مع إشارات مخه اليقظة .. أليس كذلك ؟!

حدّق الأطباء فى وجهه بدهشة ، قبل أن يغمغم أحدهم :

ـ ربّاه ! أتعنى أنه ..

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ نعم .. الحالة الثالثة ، التى تنقل إليكم اليوم بالأعراض نفسها .

وعضّ شفتيه فى مرارة ، مضيفًا :

ـ الحالة الثالثة من فريقى .

لم يكن هناك وقت للحوار أو النقاش ، لذا فقد تم نقل (أكرم) إلى إحدى حجرات العناية الخاصة بأقصى سرعة ، وهرع رئيس القسم نفسه لفحصه ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى أسف ، قائلاً :

ـ نفس الأعراض .. عجبًا ! إنه أمر محيّر للغاية .. لا بد أن أبلغ الدكتور (هادى) بالأمر .

سألته (نشوى) :

ـ من الدكتور (هادى) هذا ؟! أهو أحد خبراء الغيبوبة العالميين ؟!

التفت إليها رئيس القسم فى دهشة ، وهو يقول :

ـ كيف لا تعرفين الدكتور (هادى) ؟! إنه أحد رجالكم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ أحد رجالنا ؟! ماذا تعنى أيها الطبيب ؟!

هزّ رئيس القسم كتفيه ، قائلا :

ـ إنه أحد خبراء مركز الأبحاث لديكم .. لقد أتى منذ بضع ساعات ، ليفحص زميليكما ، وطلب الانفراد بكل منهما ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تبادل (نور) و (نشوى) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يهتف الأوّل :

ـ قل لى أيها الطبيب : هل أطلعك الدكتور (هادى) هذا على هويته ؟!

ارتبك رئيس القسم ، وهو يغمغم :

ـ إننى لم أطلب رؤيتها فى الواقع ، فقد بدا لى الرجل وقورًا رصينًا ، بما يتناسب مع ...

قاطعه (نور) فى عصبية :

ـ ربّاه ! ترى ما الذى فعله بهما ؟!

قالها ، واندفع يعدو نحو حجرة (سلوى) ، وخلفه (نشوى) ، التى أخذت تهتف مذعورة :

ـ يا إلهى ! أمى .. (رمزى) .

وارتبك رئيس القسم فى شدة ، وهو يقول :

ـ هل .. هل ارتكبت خطأً ما ؟!

ثم انطلق خلف (نور) و (نشوى) ، ولحق بهما فى حجرة (سلوى) ، و(نور) يقول فى توتر بالغ :

ـ كل شىء يبدو عاديًا ، و ...

جاء دور رئيس القسم ليقاطعه هذه المرة ، هاتفًا :

ـ من قال هذا ؟!

ثم اندفع نحو رسام المخ ، وأشار إليه ، متابعًا فى عصبية :

ـ إشارات المخ لم تعد نشطة كالسابق .

انطلقت نظرة ارتياع ، من عينى (نور) إلى عينى ابنته ، قبل أن يهتف هو فى توتر بالغ ، وهو يمسك ذراع الطبيب فى قوة :

ـ أريد فحص (سلوى) و(رمزى) مرة أخرى .. أريد فحصًا تامًا شاملا ، دون إغفال نقطة واحدة .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ولو أصابهما مكروه ، فأقسم أن يدفع المسئول الثمن غاليًا .. أيًا كانت مكانته .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بكل صرامة الدنيا :

ـ وأيًا كان موقعه .

نطقها على نحو ارتجف له قلب الطبيب بين ضلوعه ..

بمنتهى العنف ..

* * *

« الرائد (أيمن) كان على حق .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى ارتباك مضطرب ، وهو يمسك بأنبوبة اختبار صغيرة ، أمام وجه القائد الأعلى ، قبل أن يكمل فى عصبية واضحة :

ـ حتى أحدث أجهزة التحاليل الدقيقة ، أكدت وجود عنصرين مجهولين ، ضمن هذا المركب الكيميائى العجيب . وهذا يمنعنا حتى من كشف خواصه كلها ، أما شظايا الزجاج الصغيرة ، فهى تثير حيرتنا أكثر .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ ولماذا ؟!

أجابه الرجل فى حيرة :

ـ إنها قطع من البلور النقى تمامًا ، والذى لا يمكن

الحصول عليه إلا فى درجات حرارة عالية للغاية ، قد تبلغ ست أو سبع آلاف درجة مئوية .

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، مغمغمًا :

ـ وماذا فى هذا ؟! أعتقد أن لدينا التقنية اللازمة ، لبلوغ درجات حرارة أكثر ارتفاعًا .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ هذا صحيح .. نحن فى معامل مركز الأبحاث ، يمكننا بلوغ أربعين ألف درجة مئوية ، فى بعض التجارب الخاصة جدًا ، ولكن حتى نحن نعجز عن إنتاج البلور النقى بهذا السمك الضئيل للغاية .

حدّق القائد الأعلى فى وجهه لحظة ، بمنتهى التوتر والانفعال ، قبل أن يميل للأمام ، ويسأل فى بطء شديد :

ـ تقول : إنه حتى نحن ، نعجز عن إنتاج مثل هذا الشىء ؟! أتقصد (مصر) بشكل عام ، أم مركز الأبحاث العلمية .

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ الواقع أن ...

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية :

ـ أن ماذا ؟!

ازدرد الرجل لعابه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ من الناحية الاقتصادية ، لا توجد أية جدوى لإنتاج بلور نقى ، رقيق إلى هذا الحد ، فهذا يحتاج إلى تقنية متقدمة للغاية ، وتكاليف عالية جدًا ، وفى النهاية سيأتى استخدامه محدودًا للغاية ، ولكن هذا لا يمنع من أنه هناك أنواع خاصة من المواد الكيماوية ، تحتاج إلى أوعية شفافة ، ورقيقة للغاية ، ولكنها صلبة إلى حد ما ، لذا فقد أجرينا بعض التجارب فى هذا الشأن ، وأمكننا إنتاج بعض تلك الأوعية ، إلا أننا لم نبدأ فى استخدامها ، وتقييم موقفها بعد .

سأله القائد الأعلى فى صرامة :

ـ وما تلك المواد الكيماوية ، التى تحتاج إلى مثل هذه الأوعية ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ كيماويات الأعصاب .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

ـ أما زال لدينا خط لإنتاج مثل تلك الأشياء ؟!

أجابه الرجل في حدة :

ـ كلانا يعلم أن كل الدول لديها خطوط سرية لإنتاج كيماويات وغازات الأعصاب .

مط القائد الأعلى شفتيه ، مغمغماً :

ـ للأسف !

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى الخريطة الكبيرة ، وتطلع إليها بضع لحظات ، قال بعدها في حيرة :

ـ بلور نقى رقيق ، ومادة كيماوية مجهولة ، تحوى عنصرين ، لا وجود لهما في كل جداول العناصر المعروفة .. ما الذى يمكن أن يعنيه هذا في رأيك ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه في حيرة ، وهو يقلب كفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى ! إنه أمر غامض وعجيب للغاية .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغماً :

ـ لست تدرى ! لا أحد يدرى شيئاً ! لقد أصبحت هذه هي سمة الجميع بلا استثناء .

ثم شد قامته في حزم ، مضيفاً :

ـ وهذا يعنى أننا قد ارتكبنا خطأ .. أكبر خطأ .

تضاعفت حيرة الدكتور (جلال) ، وهو يتساءل :

ـ أى خطأ ؟!

ولكن القائد الأعلى لم يجب تساؤله ..

لقد انشغل بكيانه كله في التطلع إلى الخريطة الكبيرة ..

وغاب ذهنه مع فكرة قوية ، سيطرت على كل خلية من خلاياه ..

بلا استثناء .

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة والنصف مساء ، عندما ألقى رئيس قسم الحالات الخاصة جسده ، على ذلك المقعد الوثير خلف مكتبه ، وهو يهتف :

ـ أمر عجيب ! ذلك المحتال ، الذى انتحل شخصية أحد رجالكم ، حقن زميليكما بمادة (بنتوثال الصوديوم)(*)، وكأنما يحاول انتزاع بعض

(*) بنتوثال الصوديوم : يطلق عليه أيضا مصل الحقيقة .

المعلومات منهما ، على الرغم من غرقهما فى تلك الغيبوبة العميقة .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يعلق ، فى حين قالت (نشوى) ، فى حيرة وعصبية :

ـ كيف ؟! لا أحد يمكنه استجواب مثلهما .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ لا يمكننا الجزم بهذا .

تطلع إليه رئيس القسم بدهشة عارمة ، وهو يقول :

ـ أى قول هذا يا رجل المخابرات العلمية ؟! الكل يعلم أن الشخص الغارق فى غيبوبة عميقة ينفصل تمامًا عن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ هذا ينطبق على الغيبوبة المعتادة ، وليس على هذه الحالة ، التى نواجهها الآن يا سيدى .

بهت الرجل للجواب ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وكأنما أحنقه أن يتوصل (نور) إلى هذه الحقيقة البديهية ، التى غفل هو عنها ، فى حين تابع (نور) بنفس اللهجة :

ـ إننا منذ البداية نشعر بالحيرة ، لأن إشارات المخ،

عند (رمزى) و(سلوى) ، كانت تعمل على نحو طبيعى ، على الرغم من انخفاض المعدلات الحيوية لجسميهما إلى حد كبير .. وفى رأيى أن هذا بالضبط ما تسعى إليه تلك المادة الكيماوية ، التى سببت لهما هذه الحالة .. أن يسقط كل منهما فى غيبوبة ، لا تتسلل إلى عقله ، بحيث يظل العقل نشيطًا ، جاهزًا لكشف كل ما لديه ، عند استخدام الوسيلة المناسبة .. ولا تنسوا أن (بنتوثال الصوديوم) لم يكن المادة الكيماوية الوحيدة ، التى تم حقن (رمزى) و(سلوى) بها .

أجابه رئيس القسم فى عصبية :

ـ نعم .. هناك مادة أخرى ، لم يكشف المعمل هويتها بعد ، وهذا بخلاف تلك المادة المجهولة ، التى تسببت فى حدوث تلك الغيبوبة العميقة لهما ، ولكن كل هذا لا يعنى أنك على حق ، فالنظرية التى تستند إليها مرفوضة علميًا تمامًا ؛ فلو ظل المخ يقظًا نشيطًا، جاهزًا لكشف ما لديه ، تحت أى مؤثر خارجى ، فمن المستحيل أن تنخفض المعدلات الحيوية للجسم إلى هذا

هذا الحد ؛ لأن المـخ ، وبكـل بسـاطة ، هـو المحرك الرئيسي لكل جهزة الجسم الحيوية ، باستثناء القلب(*) ، وارتفاع نشاطه أو انخفاضه ، يؤثر بصورة مباشرة على الأجهزة الحيوية في الجسم .

أشار (نور) بيده ، قائلا :

ـ ماذا تسمي ما نحن بصدده إذن ؟!

انفرجت شفتا رئيس القسم ، لينطق بشيء ما ، لولا أن اندفع أحد الأطباء الشبان ، يقول في حماس :

ـ انقطاع اتصال .

احتقن وجه رئيس القسم ، وهو يلتفت إليه في حدة ، قائلا :

ـ من سمح لك بالكلام ؟!

(*) يعتمد القلب في عمله على منظم خاص ، يعرف باسم الباس مايكر (pace Maker) ، وهو أشبه بمخ خاص ، يبدأ عمل ضربات القلب ، ويعمل على تنظيمها ، بحيث يصبح عمل القلب منفصلا تقريبا عن المخ ، وهذا ما يفسر استمراره في العمل ، في أحوال عديدة ، يصاب فيها المخ بحالات سكتة مؤقتة ، أو ببعض الإصابات الفادحة ، التي تؤثر في بعض أو كل الأجهزة الأخرى .

ارتبك الطبيب الشاب ، ولوّح بيده في اضطراب ، ولكن (نور) هتف :

ـ مهلا .. بمَ وصفت الموقف ؟!

امتقع وجه الطبيب الشاب ، واختنقت الكلمات في حلقه لحظة ، قبل أن يزدرد لعابه في صعوبة ، ويجيب بصوت أجش مرتبك :

ـ إنه مجرد اصطلاح أدبي ، ولم أقصد به تشخيصا طبيًا ، و ...

هتف (نور) :

ـ ولكنك وصفت ما يحدث بأنه نوع من انقطاع الاتصال .. أليس كذلك ؟!

تنحنح رئيس القسم في غضب ، وأشار بيده في صرامة ، قائلا :

ـ كما سمعت أيها المقدم .. إنه مجرد اصطلاح غير علمي ، و ...

قاطعه (نور) في حماس :

ـ ربما كان اصطلاحا غير طبي ، أو غير علمي ، إلا أنه وصف الموقف على نحو منطقي تماما ، حتى إنني أرغب في سماع التفسير العلمي .

ارتبك الطبيب الشاب ، وهو يقول :

- الواقع أنه فى وجود أستاذى رئيس القسم، فلن ..

قاطعه (نور) فى صرامة هذه المرة :

- دعك من هذه التعقيدات الإدارية بالله عليك .. زميلان لنا يواجهان حالة غير مفهومة هنا ، وليس من المنطقى أن نتمسك بسخافات ، ونتركهما على حالهما .. هيا .. أخبرنى ما لديك .

تضاعف ارتباك الطبيب الشاب ، وأدار عينيه إلى رئيس القسم ، ولكن هذا الأخير أشاح بوجهه فى غضب ، فهتف (نور) :

- هيا بالله عليك .. هيا ..

بدا التردد لحظة على الطبيب الشاب ، إلا أنه لم يلبث أن حسم أمره ، وانتصر لطبيعته العلمية ، وهو يندفع ، قائلاً :

- نظريتى تقول : إنه هناك شىء ما ، يحول بين إشارات المخ ، ووصولها إلى الأطراف والأجهزة الحيوية .. شىء ربما يكمن فى الحبل الشوكى ، أو فى الأطراف العصبية نفسها .. المهم أنه يمنع عملية انتقال ذلك النشاط الملحوظ فى المخ ، إلى باقى أجزاء الجسم .

بدت الدهشة على وجه رئيس القسم ، وهو يحدق فى الطبيب الشاب ، الذى تابع فى حماس واضح :

- فى هذه الحالة ، علينا أن نقيس إشارات المخ ، التى تنتقل عبر الألياف العصبية ، وبتتبع تلك الإشارات ، سيمكننا تحديد منطقة الخلل بالضبط ، وربما قادنا هذا إلى وسيلة علاجه .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وماذا عن تلك المادة الغامضة ، التى تم حقنها مع (بنتوثال الصوديوم) ؟!

أجابه الطبيب الشاب فى سرعة :

- إنها عقار يبطل سيطرة المادة الأولى على الحواس ، على نحو مؤقت ، بحيث يمكن لزميليكما الإفصاح عما لديهما ، تحت تأثير (بنتوثال الصوديوم).

هتف رئيس القسم فى حنق :

- أى تفسير هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- التفسير المنطقى الوحيد ، منذ بدأ ذلك الأمر .

قالها ، ومد يده للطبيب الشاب ، قائلاً فى احترام :

- اسمح لى بمصافحتك يا رجل ؛ فأنت عبقرى حقيقى .. قل لى : ما اسمك ؟!

ابتسم الطبيب الشاب ، وتهللت أساريره فى سعادة حقيقية ، وهو يجيب :

ـ اسمى (يحيى) أيها المقدم (نور) .. إننى أتابع عملك منذ فترة طويلة ، والواقع أننى مبهور بما تقوم به .

ربت (نور) على كتفه ، قائلا :

ـ عظيم .. ستتاح لك إذن فرصة متابعة هذا العمل عن قرب .

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرة متسائلة ، والشاب يقول فى ارتباك :

ـ ماذا تعنى أيها المقدم ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أعنى أنك ، ومنذ هذه اللحظة ، ستعمل لحساب المخابرات العلمية .

هتف (يحيى) غير مصدق :

ـ أنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير بيده :

ـ نعم .. أنت .. ومنذ هذه اللحظة أيضا ستتولى مهمة فحص الإشارات المخية ، وقدرتها على الانتقال

عبر الألياف العصبية ، لدى (سلوى) و(رمزى) و (أكرم) ، كما ستتابع بنفسك نتائج التحليل المعملى لتلك المادة ، التى تسببت فى كل هذا .

ثم التقط عينة البلور من جيبه ، وناولها للطبيب الشاب ، متابعا :

ـ ونتائج فحص هذه أيضا .

حدق (يحيى) فى العينة لحظة ، قبل أن يسأل (نور) فى حماس وانفعال :

ـ وكيف أبلغك بالنتائج أيها المقدم ؟!

أتاه صوت حازم صارم رصين ، يجيب :

ـ لن تكون بحاجة إلى هذا أيها الطبيب .

التفت الجميع إلى صاحب الصوت فى دهشة ، لم تبلغ لدى أعظمهم تأثرا ربع ما شعر به (نور) ، الذى انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يحدق فى القادم الجديد ، قبل أن يهتف بانفعال جارف :

ـ سيدى !! ما الذى ...

وبتر عبارته بغتة ، قبل أن يتمها ..

ودون كلمة واحدة ، أدرك الجميع ، أن ذلك القادم الجديد شخص له مكانة خاصة ، فى جهاز المخابرات العلمية ..

ولكن من المؤكد .. والمؤكد جدا .. أن أحـدا منهم لم يخطر ببالـه قط أن ذلك الرجل الرصين الوقور ، الذى يرتدى حلة بسيطة أنيقة ، والذى يقف على قيد متر واحد منهم، بقامته الممشوقة وملامحه الوسـيمة، وذلك الشيب المنتشر فى نصف رأسه ، هو أخطر رجل ، فى المخابرات العلمية المصرية كلها ..

هذا لأنه ليس رجل مخابرات عاديًا ..

إنه القائد الأعلى ..

شخصيًا ..

★ ★ ★

لهث (هادى) فى شدة ، وهو يدلف إلى حجرة رئيسـه ، ويلـوّح بذراعيـه فى قـوة ، محاولاً قول شىء ما ، لولا أنفاسـه المتقطعـة ، ووجهـه شديد الاحتقان ، مما جعل رئيسه يشير إليه ، قائلاً :

ـ رويدك يا هذا .. التقط أنفاسك ، واهدأ قليلاً ، ثم هات ما لديك ..

لهث (هـادى) بضع لحظات أخـرى ، ثـم ازدرد لعابه فى صعوبة ، وهتف بصوت مختنق :

ـ لقد .. لقد كشفوا الأمر .

رمقه رئيسه بنظرة ثلجية باردة ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ـ أى أمر ؟!

أجابه لاهثًا :

ـ كشفوا ما فعلناه بزميليهما .

بدا الغضب على رئيسه ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

أجابه (هادى) فى انفعال :

ـ رجلنا فى المستشفى أبلغنـى ، أنهم عثروا على آثار مصل الحقيقـة ، مع المـادة المضـادة ، فى دماء الاثنين ، وأنهم يحيطون حجرة زميلهم الثالث بحراسة مشدَّدة للغاية ، كما أن أحد الأطباء يقوم الآن ببعض الاختبارات ، حول انتقال إشارات المخ ، وقدرتها على بلوغ الألياف العصبية الطرفية .

تضاعف الغضب فى وجه رئيسه ، وإن ظلّ صوتـه على برودتـه الشديدة ، وهـو ينهـض من مكانـه ، ويتجه إلى تلك الكرة البلورية ، قائلاً :

ـ هذا يعنى ضرورة أن نتحرك بسرعة أكبر .

قال (هادى) فى حماس :

- مرنى بما تريد يا سيدى .

تطلع إليه رئيسه بضع لحظات ، فى صمت بارد مخيف ، قبل أن يرفع يده إلى الكرة البلورية الضخمة ، قائلا :

- عندما ابتعت خدماتك كمجرم ومحتال عالمى سابق ، تصورت أن قيام واحد من جنسكم بالمهمة ، سيجعل الأمر أكثر سهولة ، ولكن يبدو أننى كنت مخطئا .

قال (هادى) فى حيرة :

- واحد من جنسنا ؟! ما الذى تعنيه أيها الرئيس ؟!

وضع رئيسه يده على الكرة البلورية ، وهو يقول :

- أعنى أنك قد فشلت فى مهمتك ، ولم تعد بى حاجة إليك .

اتسعت عينا (هادى) ، وفهم على الفور ما يقصده رئيسه ، فاندفع نحوه ، هاتفا :

- هل تعتقد أنه من السهل أن تتخلص منى ؟!

أجابه رئيسه فى صرامة مخيفة :

- دون أدنى شك .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى دوت فرقعة مكتومة ،

- هل تعتقد أنه من السهل أن تتخلص منى ؟!
أجابه رئيسه فى صرامة مخيفة : - دون أدنى شك ..

وتكونت كرة من اللهب ، فى مركز الكرة البلورية تماما ، على نحو جعل (هادى) ينتفض فى هلع.، ثم يحدق فى رئيسه ، هاتفا :

ـ كيف تفعل هذا ؟! من أنت بالضبط ؟!

استدار إليه رئيسه فى بطء ، وقال :

ـ هل تعتقد حقا أنه بإمكانك استيعاب الأمر ؟!

اتسعت عينا (هادى) ، وهو يحدق فى ذلك الواقف أمامه ، والذى لم تكن عيناه تشبهان عيون البشر ، بأى حال من الأحوال ، وارتجف صوته فى حلقه ، وهو يتراجع ، قائلا :

ـ من أنت ؟! بل ما أنت ؟!

اقترب رئيسه منه ، وهو يقول بتلك الصرامة المخيفة :

ـ لم يعد هذا يهمك .. بل لن يهمك شىء فى الحياة كلها ، بعد دقيقة واحدة .

تراجع (هادى) فى رعب ، صارخا :

ـ لا .. لا .. ابتعد عنى .

كان يتراجع بسرعة كبيرة ، فى القاعة الواسعة ، إلا أن رئيسه وثب بغتة ، على نحو أشبه بالفهد ،

وهبط على قيد نصف متر منه ، ثم قفزت يداه تقبضان على عنقه بسرعة مخيفة ..

وانطلقت صرخة رعب وألم ، من حلق (هادى) .

فمن اليدين المحيطتين بعنقه سرى لهيب مخيف فى جسده ، على نحو جحظت له عيناه ، فصرخ :

ـ لا .. لا تقتلنى .. لا ..

ومع صرختة ، امتدت يده تمسك وجه رئيسه ..

وبحركة غريزية ، صنعتها رغبته فى البقاء ، جذب بشرة الوجه بكل قوته ..

وهنا ، انطلقت من حلقه صرخة أكثر رعبا وألما ..

ففى تلك اللحظة ، التى كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة ، أدرك (هادى) أن رئيسه ليس بشريا ..

ولم يكن كذلك ..

أبدا .

* * *

٦ ـ العـــدو ..

بدا الانفعال واضحا ، فى صوت وملامح الدكتور (ياسر) ، وهو يقتحم مكتب رئيسه ، فى إدارة الاتصالات الفضائية ، ملوحا بورقة كبيرة فى يده ، وهاتفا :

ـ مفاجأة .. مفاجأة مدهشة يا سيدى .

رفع رئيسه عينيه إليه فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يقول فى غضب صارم :

ـ دكتور (ياسر) .. كيف تقتحم مكتبى على هذا النحو ، و ...

قاطعه (ياسر) فى حماس ، وكأنما لم ينتبه إلى كلماته ، وهو يضع الورقة الكبيرة على سطح مكتبه :

ـ انظر يا سيدى .. انظر إلى هذه المنحنيات الحادة .. لقد ظهرت فجأة ، وسط المنحنيات المعتادة ، ونحن نتلقى الإشارات الدورية لأجهزة الاتصال ، فى شبكة الأقمار الصناعية .

حدق رئيسه فى وجهه لحظة ، قبل أن يهز رأسه

مستسلما ، وكأنما اعتاد هذا الأسلوب الفج من موظفه ، وهو يقول :

ـ أية منحنيات ؟!

أشار الدكتور (ياسر) بسبابته إلى زوج من المنحنيات ، ارتفعت قمتها على نحو حاد ملحوظ ، بين مجموعة كبيرة من المنحنيات شبه المنتظمة ، وقال بنفس الحماس والانفعال :

ـ انظر يا سيدى .. انظر .. هذه هى المنحنيات المنتظمة المعتادة .. ثم فجأة ، تجد هذين المنحنيين ، يبرزان على نحو حاد مباغت ، ثم تعود الإشارات إلى انتظامها مرة أخرى .

سأله رئيسه ، وقد حلّ اهتمامه محل غضبه :

ـ وما الذى يشير إليه هذا بالضبط ؟!

لوّح (ياسر) بذراعيه فى حماس ، مجيبًا :

ـ إنها إشارة خاصة .

مط رئيسه شفتيه ، وهو يسأله :

ـ أى نوع من الإشارات ؟!

رفع (ياسر) سبابته إلى أعلى ، وهو يمد ذراعه عن آخرها ، ويرتفع بكعبيه عن الأرض ، وكأنما يهم بلمس سقف الحجرة ، وهو يجيب :

- إنها إشارات من بعيد .. من هناك ..

تراجع رئيسه فى مقعده ، متمتمًا فى حذر :

- من بعيد ؟!

هتف (ياسر) فى حماس :

- نعم .. إشارات من الفضاء .

انعقد حاجبا رئيسه ، وهو يتطلع إليه فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى حذر أكثر ، وهو يشير بسبابته ، ويحاول رسم ابتسامة على شفتيه :

- من أحد صواريخنا ، أو محطاتنا الفضائية ، المنتشرة فى المجموعة الشمسية يا دكتور (ياسر) ؟!

هز (ياسر) رأسه نفيًا ، وأجاب فى حزم :

- ليس بهذا القرب .

ثم مال نحو رئيسه ، مستطردًا فى حماس :

- إنها إشارة من الفضاء البعيد .. البعيد جدًا .

انتفض جسد رئيسه انتفاضة خفيفة ، لم تلحظها عينا (ياسر) ، الذى تابع فى انفعال جارف :

- إننا نستطيع دراسة قوتها ، وذبذبتها ، وببعض الحسابات ، يمكننا تحديد مصدرها بدرجة معقولة من الدقة ، و ..

قاطعه رئيسه فى اهتمام شديد :

- وماذا عن فحواها ؟!

بدت دهشة عارمة على وجه الدكتور (ياسر) ، وكأنما لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال ، وارتبك لبضع لحظات ، قبل أن يهز كتفيه ، مغمغمًا :

- إنها إشارة منتظمة ، وهذا يعنى أنها قادمة من مصدر عاقل ، حاملة رسالة ما إلى عالمنا ، ومن المؤكد أنه هناك وسيلة لمعرفة فحواها حتمًا .

أجابه رئيسه ، وقد انتقل إليه الانفعال :

- ابذلوا قصارى جهدكم إذن .

قالها ، والتقط مسماع هاتف خاص إلى جواره ، وامتدت سبابته لتضغط أزرار الهاتف ، إلا أنه توقف بغتة ، وأشار إلى الدكتور (ياسر) ، هاتفًا فى شىء من الحدة ، لم يعتده هذا الأخير :

- ماذا تنتظر ؟!

ارتبك الدكتور (ياسر) ، وهو يقول :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سيدى .. اطمئن .

واندفع خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ولم يكد يفعل ، حتى ضغط رئيسه أزرار الهاتف ، ولم يكد يرى وجه محدثه على شاشته ، حتى قال فى عصبية وتوتر واضحين :

- سيدى .. يبدو أن ما نخشاه منذ زمن طويل ، قد صار حقيقة واقعة .

نطقها وصوته يرتجف .. بشدة ..

* * *

« من المؤكد أنك تتساءل عن سر قدومى أيها المقدم .. » .

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية العبارة ، وهو يسير إلى جوار (نور) ، فى حديقة المستشفى العسكرى ، فغمغم هذا الأخير ، فى شىء من الحذر :

- إننى أتساءل : لماذا لم يتم استدعائى إلى الإدارة ؟!

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، وهو يسير عاقدًا كفيه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن أجاب ، فى حزم واضح :

- الواقع أن هذا لم يكن ممكنًا ، من الناحية الأمنية يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يكرر ، فى قلق عارم :

- من الناحية الأمنية ؟! المفترض يا سيدى أننا أكثر جهة تحظى بأمن وسرية المعلومات .

انطلقت من حلق القائد الأعلى زفرة ملتهبة ، وهو يقول :

- نعم .. من المفترض هذا أيها المقدم .

ثم توقف ، والتفت إلى (نور) ، مضيفًا فى حزم مرير :

- ولكن الواقع أننا نواجه عملية اختراق لجدارنا الأمنى .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يغمغم :

- يا إلهى !

ربت القائد الأعلى على كتفه ، وهو يعاود السير ، قائلاً :

- دعنى أرو لك الأمر منذ البداية يا (نور) .. وهذه البداية ليست بعيدة ، ولكنها على العكس ، قريبة للغاية ، إذ لا تزيد على أسبوع واحد .. وبالتحديد ، بعد سبع ساعات من جلوسى على مقعد القائد الأعلى ، عندما تلقيت إشارة من إحدى محطاتنا الفضائية ، تقول : إن نيزكًا صغيرًا يتجه نحو الأرض ، وقد عبر إلى جوارها بسرعة كبيرة للغاية ، وسيبدأ فى اختراق الغلاف الجوى بعد دقائق .. وعلى الفور ، قمنا برصد شامل للغلاف الجوى الأرضى ،

والتقطت أجهزتنا عملية وصول النيزك إليه، واختراقه للغلاف الجوى، ليهبط فى صحرائنا الغربية، على مسافة مائتى كيلو متر تقريباً من (القاهرة) .

قال (نور) فى حذر :

- إلى هنا، تبدو الأمور كلها عادية بسيطة يا سيدى، فعلى الرغم من ندرة حدوث هذا، من الناحية العلمية البحتة، إلا أنه مازال من الممكن أن ينجح نيزك ما فى اختراق غلافنا الجوى، ومن حسن الحظ أنه قد سقط فى الصحراء الغربية، وليس فى منطقة مأهولة بالسكان .

أشار القائد الأعلى بسبابته، وهو يقول :

- كان من الممكن أن يكون هذا هو التفسير العلمى البسيط للموقف أيها المقدم، لولا ثلاث نقاط بالغة الأهمية .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أجابه القائد الأعلى، وكأنه يسترجع ذكرى مريرة :

- عند رصد هبوط النيزك، لاحظ العلماء والخبراء أن حجمه ظلَّ ثابتاً، منذ بلغ الغلاف الجوى، وحتى اكتمال هبوطه، وهذا أمر غير منطقى، من الناحية العلمية .

قال (نور) فى اهتمام بالغ :

- بالتأكيد، فمع احتكاك أى نيزك، مهما كانت مادته، بالغلاف الجوى بالأرض، ستبلغ درجة حرارة سطحه ما يزيد على مائة ألف درجة مئوية، مما يحتم تآكل مادته، وانخفاض وزنه وحجمه، مع كل متر يقطعه، فى طريقه نحو الأرض .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه، قائلاً :

- بالضبط .. وهذه الضرورة العلمية الحتمية لم تحدث مع ذلك النيزك .. بل ظلَّ حجمه ثابتاً طوال الوقت، مما يوحى بأن مادته قادرة على احتمال درجات حرارة عالية للغاية، وهذا لا يتأتى إلا لبعض السبائك الصناعية(*)، المحاطة بغلاف واق قوى، كما فى مركبات الفضاء .

(*) السبائك (مفردها سبيكة) : مصطلح يستخدمه المشتغلون بالفلزات (الميتالورجيون)، للدلالة على مادة مكوّنة من عنصرين فلزيين، أو عنصر فلزى وآخر غير فلزى، قابلين للذوبان فى بعضهما، ولا ينفصلان إلى طبقات مختلفة عند تجمدهما . والسبائك مجموعتان كبيرتان .. السبائك الحديدية وأشهرها (الصلب)، والسبائك غير الحديدية، وأشهرها (الدورالومين)، وهو سبيكة من الألومنيوم والنحاس والمغنسيوم .

توقف (نور) هذه المرة ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل تعنى أن ذلك النيزك ليس سوى مركبة فضائية مموهة أيها القائد ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلا :

لست أنا من يعنى هذا ، وإنما هى الحقائق العلمية أيها المقدم .

قال (نور) فى توتر ، وهما يعاودان السير :

ـ ولكن عدم انخفاض حجم النيزك فى أثناء هبوطه، ليس دليلاً علميًا حاسمًا يا سيدى ، فهناك احتمالات علمية أخرى ، تتعلق بمادة النيزك ، التى ربما تختلف عن المواد الأرضية المعروفة ، أو ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ هذا بالنسبة للدليل الأول فحسب أيها المقدم ، ونحن نتحدث عن ثلاثة .

شعر (نور) بالحرج ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا سيدى .

لوح القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ الأمر الثانى ، الذى أقلق علماء وخبراء الرصد ، هو أنه من الطبيعى ، بالنسبة لأى جسم سلبى ، يقع

تحت تأثير الجاذبية الأرضية ، أن تتزايد سرعته تدريجيًا ، مع استمراره فى الهبوط ، نظرًا لعجلة الجاذبية الأرضية(*)، ولكن ذلك النيزك العجيب خالف هذه القاعدة العلمية أيضًا ، فقد ظلت سرعته ثابتة ، حتى صار على ارتفاع خمسة كيلو مترات عن سطح الأرض ، وعندئذ ، راحت سرعته تنخفض بمعدل ثابت منتظم ، حتى غاب عن شاشة الرادار تمامًا .

صمت (نور) بضع لحظات ، وقد انعقد حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن يتساءل :

ـ وماذا عن الدليل الثالث ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ الدليل الثالث ، هو أننا لم نعثر على أية أدلة .

توقف (نور) ، ليسأل فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

توقف القائد الأعلى بدوره ، مجيبًا فى حزم :

ـ يعنى أننا ، عندما أرسلنا فريقًا لفحص النيزك ، فى منطقة هبوطه ، التى حددتها الأجهزة ، لم نعثر له

(*) عجلة الجاذبية الأرضية = ٩٨١ سم/ث/ث .

على أدنى أثر .. ليس فى موقع الهبوط فحسب ، وإنما فى دائرة نصف قطرها مائة متر منه أيضًا .

قال (نور) فى اهتمام ، وهما يعاودان السير فى بطء :

ـ هذا يعنى إما أنه قد تلاشى، قبل أن يبلغ الأرض، وهو احتمال غير وارد على الإطلاق ، من الناحيتين ، العلمية والمنطقية ، أو أنه لم يكد يقترب من رمال الصحراء ، حتى عدَّل اتجاهه ، وانطلق موازٍ لها ، وعلى ارتفاع منخفض على الأرجح ، كمحاولة لتفادى أجهزة الرصد والرادار ، حتى اختفى فى مكان آخر .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ بالضبط .. هذه هى العقلية ، التى يحتاج إليها جهازنا أيها المقدَّم .. عقلية منطقية ، استنباطية ، تحليلية ، تستند إلى ثقافة علمية واسعة ، مع خيال جامح ، يمكنه تعقب ما تشير إليه الدلائل ، حتى ولو خالف كل طبيعى أو مألوف .

وتنهَّد فى حرارة ، قبل أن يستطرد فى ضيق :

ـ وهذا نفسه ما أفتقده فى الآخرين .. الدكتور (جلال) ، والرائد (أيمن) وفريقه .. كلهم يعملون

بمنتهى التفانى والإخلاص ، وينجحون نجاحًا مبهرًا ، فى الحصول على الأدلة والقرائن والبراهين ، ولكن أحدًا منهم لا يمكنه رؤية ما خلف الأفق ، أو قراءة ما بين السطور .. لا أحد منهم يمكنه القفز من القرائن إلى الاستدلالات والنتائج .

ثم التفت إليه ، مضيفًا :

ـ وهذا يعنى أننا قد ارتكبنا خطأ كبيرًا أيها المقدَّم..

سأله (نور) فى حذر :

ـ أى خطأ يا سيدى ؟!

تطلَّع إليه القائد الأعلى ، مجيبًا فى حزم :

ـ أننا حاولنا إقصاءك وفريقك من العمليات الأساسية أيها المقدَّم .. دعنى أعترف بأننا قد تصرَّفنا بصبيانية لم يكن لها ما يبرِّرها ، عندما حاولنا أن نعاقبك على تأديتك لواجبك تجاه الوطن ، دون النظر لأية عواطف أو ارتباطات خاصة .

وعقد كفيه خلف ظهره ، مضيفًا فى حسم :

ـ صدقنى يا (نور) .. لقد تصرَّفت كرجل ناضج ، فى حين كان تصرُّفنا سخيفًا ، وغير عادل أو منطقى على الإطلاق .

ارتسمت دهشة بالغة على وجه (نور) ، وهو

يحدق فى وجه القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يشد قامته في وقفة عسكرية صارمة ، ثم يؤدى التحية العسكرية ، قائلاً فى احترام بالغ :

ـ سيدى القائد الأعلى .. موقفك هذا يفصح عن حكمة بالغة ، وشجاعة فى الحق بلا حدود .. اسمح لى بتقديم وافر احترامي وتقديرى .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

ـ فيما بعد يا (نور) .. فيما بعد أيها المقدم .. المهم الآن أن تعود وفريقك إلى العمل على الفور .

ابتسم (نور) فى مرارة ، قائلاً :

ـ فريقى ؟! لقد انتهى فريقى عمليًا يا سيدى ، ولا أحد يدرى مصيره حتى الآن .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وهو يقول :

ـ يؤسفنى حقًا ما أصاب رفاقك أيها المقدم ، ولقد أصدرت أوامرى بتكليف فريق من أفضل علمائنا وأطبائنا ، لدراسة حالتهم ، والعناية بهم ، والبحث عن وسيلة لإسعافهم ، ولكن الشىء الأكثر أهمية ، هو أن خبراءنا يرون أن ما أصاب فريقك ، هو خطوة أولى

فى خطة طويلة ، أعدها جاسوس أو جواسيس ، حملته أو حملتهم مركبة الفضاء ، التى هبطت على أرضنا ، فى شكل نيزك عادى .. خطة تهدف فى نهايتها إلى التمهيد للغزو .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فأضاف القائد الأعلى فى حزم :

ـ غزو الأرض كلها .

وكانت هذه العبارة الأخيرة كفيلة بأن تنتفض كل خلية من خلايا (نور) ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

ارتسمت دهشة عارمة على وجه الدكتور (فايز) ، أحد كبار علماء مركز الأبحاث ، وهو يتطلع إلى الرجل الواقف أمامه ، عند باب منزله ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

ـ تقول : إنك أحد ضباط أمن المركز ؟! ولكن ماذا يريد منى جهاز أمن المركز ؟! إننى رجل منضبط ، لا أرتكب أية مخالفات ، أو ..

قاطعه رجل الأمن فى برود عجيب :

- لديك تصريح ببلوغ المستويات الأمنية العليا فى المركز .. أليس كذلك ؟!

تسلل الحذر والقلق إلى نفس الدكتور (فايز) ، وتراجع فى بطء نحو هاتف الفيديو ، وهو يجيب :

- بلى ، ولكن هذا التصريح خاص للغاية ، ولا يمكن لسواى استخدامه أو استغلاله ، فهو لا يكفى وحده لدخول أية منطقة محظورة داخل المبنى الرئيسى ، أو المبانى الفرعية ، إذ لا بد أن يرتبط هذا بالخضوع لإجراءات الفحص البيولوجية الأمنية الأخرى ، كبصمة الإبهام ، وبصمة قزحية العين ، وتوزيع المسام العرقية على الجلد ، وغيرها .

تقدم رجل الأمن إلى الأمام ، وراقبت عيناه تحركات الدكتور (فايز) الحذرة ، نحو هاتف الفيديو ، وهو يقول ببروده المخيف :

- أعلم هذه الحقائق جيدًا .

هتف به الدكتور (فايز) فى عصبية :

- أنت لست أحد رجال الأمن .. أرنى هويتك .. أنت محتال .

هرعت إليه زوجته فى قلق ، قائلة :

- (فايز) .. ماذا يحدث ؟! لماذا تصرخ على هذا الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدق فى تلك الملامح الباردة ، لرجل الأمن الزائف ، الذى أخرج يده من جيب معطفه ، قائلاً :

- ها هى ذى هويتى .

اتسعت عينا الدكتور (فايز) وزوجته ، مع مرأى ذلك السلاح العجيب ، الذى برز فى قبضة رجل الأمن الزائف ..

وانطلقت من حلق زوجته صرخة رعب ..

رعب لم ينبت من مرأى السلاح ..

ولكن من هيئة اليد ، التى تمسك به ..

تلك اليد الخضراء ، المكسوة بحراشيف صغيرة دقيقة ، والتى ترتبط أصابعها بأغشية رقيقة ، كتلك التى تبدو فى أيدى الضفادع ..

ومع صرخة الزوجة ، ضغطت السبابة الخضراء الرفيعة زناد السلاح ..

وانطلقت كرتا نار صغيرتين ..

ودوى انفجاران مكتومان ..

وطار جسدا الدكتور (فايز) وزوجته ، قبل أن يسقطا جثتين هامدتين ، فى منتصف الصالة ..

وفى هدوء عجيب ، تقدم ذلك المخلوق من جثة الدكتور (فايز) ، وانحنى يغرس أظفاره فى ذراع الرجل ، وينتزع منها قطعة صغيرة من اللحم ، تطلع إليها لحظة ، ثم دسها فى جهاز خاص ، معلق بحزامه ..

وفى بطء ، راحت ملامحه تتبدل وتتغير ، على نحو عجيب ..

حتى قامته الطويلة ، انكمشت رويدًا رويدًا ، وراح جسده النحيل يتمدد ويتمدد ، ونبت من رأسه شعر أشيب قصير ، و ...

وما هى إلا دقائق سبع ، حتى أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا ..

شخص يحمل كل ملامح وسمات ذلك العالم ، الذى توسد أرض الصالة جثة ساكنة هامدة ..

ملامح الدكتور (فايز) ..

بكل التفاصيل الشكلية ..

والفعلية ..

* * *

انبعث خيط رفيع دقيق من الليزر ، من جهاز

الفحص الأمنى ، فى مركز الأبحاث العلمية ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، ليفحص قزحية عين الرجل الواقف أمامه فى ثبات ، قبل أن يخرج منه صوت آلى جاف ، يقول :

ـ تم التحقق من الشخصية ، يسمح بالدخول .

لم تكد العبارة الآلية تنتهى ، حتى انزاح باب المعمل الخاص فى هدوء ، ودون أدنى صوت ، ليكشف قاعة واسعة ، انهمك داخلها ثلاثة من العلماء ، فى دراسة عينة تلك المادة المجهولة ، وقطع البلور النقى ، التى تم العثور عليها ، فى موضع إصابة (سلوى) ..

وما إن عبر الرجل باب القاعة ، حتى أغلق الباب من خلفه بنفس الهدوء ، فى حين أدار أحد العلماء الثلاثة عينيه إلى القادم ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ دكتور (فايز) ؟! ما الذى أتى بك ، فى هذه الساعة المتأخرة ؟!

بدا له الدكتور (فايز) باردًا كآلة تمشى على قدمين ، وهو يتجاهل السؤال تمامًا ، مديرًا عينيه فى القاعة ، وكأنما يراها لأول مرة ، قبل أن يتوقف ببصره عند آلة المراقبة ، ويتطلع إليها فى اهتمام بالغ ..

وفى حيرة ، راح العلماء الثلاثة يتابعونه ، وهو يتجه نحو آلة المراقبة مباشرة ، وقال آخر فى توتر :

ـ أهناك ما يمكننا أن نقدّمه لك يا دكتور (فايز) ؟!

وتضاعفت دهشتهم ، عندما خرج صوته من بين شفتيه جافًا خشنًا بخلاف المعتاد ، وهو يقول فى غلظة :

ـ واصلوا عملكم .

تبادل العلماء الثلاثة نظرة بالغة التوتر ، وغمغم أحدهم ، ويده تمتدّ فى حذر إلى زر الإنذار :

ـ دكتور (فايز) .. ماذا أصابك ؟!

لم تكد عبارته تنتهى ، حتى قفز الدكتور (فايز) قفزة عالية ، تتجاوز المترين ارتفاعًا ، ليهوى بقبضته على آلة المراقبة ..

ومع عنف الضربة ، انفجرت آلة المراقبة ، وشهق العلماء الثلاثة فى رعب هائل ، وهم يتراجعون فى سرعة ، فى حين قفز أحدهم يضغط زر الإنذار صارخًا :

ـ النجدة ! النجدة !

أما زميلاه ، فقد هوى قلباهما بين ضلوعهما ، وهما يحدقان فى الدكتور (فايز) ، الذى استطال جسده ، ونحل ، وتغيّرت ملامحه على نحو مخيف ..

وانطلقت من أحد العلماء الثلاثة صرخة قوية ، امتزجت برنين جهاز الإنذار المتصل ، وبذلك الصوت المكتوم ، الذى انبعث مع انطلاق ثلاث كرات نارية صغيرة ، من سلاح المخلوق الواقف أمامهم .

وفى نفس اللحظة ، التى هوى فيها العلماء الثلاثة جثثًا هامدة ، كان المخلوق غير البشرى يطلق كراته النارية فى كل مكان ، ليدمّر القاعة كلها ..

بلا استثناء .

* * *

كان المخلوق غير البشرى يطلق كراته النارية فى كل مكان ، ليدمّر القاعة كلها ..

٧ ـ لماذا ؟! ..

على الرغم من توتره الزائد ، وعصبيته المفرطة ، نهض الدكتور (جلال) ليصافح (نور) ، فى مكتب القائد الأعلى ، مغمغمًا :

ـ أهلاً أيها المقدّم .. لم أكن أتصوّر قط أننا سنلتقى مرة أخرى .. أعنى من خلال عمل رسمى .

أجابه (نور) فى رصانة :

ـ أما أنا فتسعدنى رؤيتك دائمًا يا سيّدى .

همهم الدكتور (جلال) بكلمات غير مفهومة ، وهو يعود إلى مجلسه ، فى حين بدا الرائد (أيمن) شديد التوتر ، وهو يصافح (نور) ، قائلاً فى ضيق واضح :

ـ مرحبًا بعودتك إلى الصفوف يا سيادة المقدّم .

أدهشته ابتسامة (نور) الرقيقة ، وهو يقول :

ـ لا يمكنك أن تتصوّر كم يسعدنى أن أتاحت لنا الظروف أن نعمل معًا .

ابتسم القائد الأعلى للباقة (نور) وذكائه ، فى حين بدت الحيرة على وجه الرائد (أيمن) ، وهو يسأل فى حذر :

- حقًا ؟!

ربت (نور) على كتفه ، دون أن يجيب ، ثم رفع عينيه إلى القائد الأعلى ، الذى أشار إليه ، قائلاً :

- اجلس أيها المقدم .. أنت تعلم ما حدث فى مركز الأبحاث بالتأكيد .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- الواقع أن ما حدث يدهشنى ، ويثير حيرتى إلى أقصى حد يا سيدى ؛ فأنا أعلم جيدًا أن إجراءات الأمن فى مركز الأبحاث محكمة ودقيقة للغاية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح المعتدى فى الدخول والخروج ، دون أن نظفر به فى الحالتين .

لوّح الدكتور (جلال) بذراعه فى عصبية ، وهو يقول :

- لست أدرى كيف فعلها ذلك الشىء ، ولكنه اجتاز كل إجراءات الفحص ، والتحقق من الشخصية ، باعتباره الدكتور (فايز) ، أحد علماء الصفوة ، الذين يحملون بطاقات خاصة ، تتيح لهم بلوغ المستويات الأمنية العليا فى المركز ، أما بالنسبة للخروج ، فلم تكن هناك مشكلة ؛ فقد انطلقت

صفارات الإنذار ، معلنة حدوث أمر طارئ ، وسجلت أجهزة الرصد الداخلية حدوث انفجارات واشتعال نيران ، وفى هذه الحالة يتم السماح للجميع بالخروج على الفور ، إذ ليس من المنطقى أن أوقف شخصًا مذعورًا ، يعدو للفرار من خطر ما ، لأطالبه بإبراز هويته، وإثبات شخصيته، قبل أن أسمح له بالخروج.. أضف إلى هذا أننا نفترض أن كل من أمكنه تجاوز إجراءات الأمن للدخول ، هو شخص لا يمكن منعه من الخروج ، إلا فى ظروف محدودة للغاية .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- مهلاً يا دكتور (جلال) .. لماذا أشرت إلى المعتدى بكلمة (ذلك الشىء) ، وليس (ذلك الشخص) ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- ملحوظة عبقرية يا (نور) ، ولكن إجابة سؤالك تحتاج إلى مشاهدة ما حدث فى المعمل ، وليس مجرد سماع جواب تقليدى .

هتف به (نور) فى انفعال :

- وهل تم تسجيل ما حدث بالفعل ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

- المعتدى بدأ بتحطيم كاميرا المراقبة ، فى الركن

البعيد للقاعة ، ويبدو أنه لم ينتبه إلى وجود أخرى تجاور الباب تمامًا .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يضغط زرًا على سطح مكتبه ، فأظلمت الحجرة فى بطء ، قبل أن يبدأ عرض فيلم هولوجرافى مجسّم ، على شاشة بلّورية كبيرة .

واتسعت عينا الرائد (أيمن) ، الذى بدا مبهوتًا بمتابعة ما يحدث ، فى حين التقى حاجبا (نور) ، وهو يراقب كل همسة تنقلها الشاشة البلّورية الكبيرة.

كان كل شيء يبدو ، بالنسبة إليه ، مبهرًا مخيفًا ، غامضًا ، على الرغم من أنه يراه بعينيه ..

ومن المؤكد أن تلك اللحظات ، التى استعاد فيها المخلوق هيئته ، وانسلخ من هيئة الدكتور (فايز) ، قد جذبت انتباهه واهتمامه بشدة ..

وكذلك كرات النار ، التى انطلقت من السلاح العجيب ، وتفرّقت ، لتنقض كل منها على ضحيتها ، وكأنما تعرف هدفها بالضبط ..

نفس ما يحدث منذ البداية ، وإن اختلفت الصورة فى كل مرة ..

نيزك مموّه ، يخترق الغلاف الجوى ككرة هائلة من

النار ، هابطًا نحو الصحراء الغربية ، ثم لا يلبث أن يختفى ويتلاشى ، وكأن لا وجود له ..

وكرات من النار تطارد رفاقه ، بشراسة وإصرار عجيبين ، وبهدف محدّد مسبقًا ، لا تحيد عنه أبدًا ..

وأخيرًا تلك الكرات النارية الصغيرة ، التى يطلقها سلاح المخلوق الفضائى المخيف ..

دائمًا تعرف كرة النار هدفها ..

ودائمًا ما تظفر به ..

دائمًا ..

أضيئت أنوار الحجرة مرة أخرى ، لتنتزعه من أفكاره ، والدكتور (جلال) يقول فى عصبية شديدة :

- هذا يضع النقاط كلها فوق الحروف ، ويجعل الصورة واضحة ، لا شك فيها .. إنه مخلوق من الفضاء الخارجى ، لديه قدرة مدهشة على التحوّر ، وانتحال هيئة من يريد ، و ..

قاطعه (نور) فى اهتمام :

- مهلًا يا سيّدى .. لو أن ذلك المخلوق يمتلك مقدرة التحوّل الحربائية هذه ، فلماذا لجأ إلى كل هذه التعقيدات ، ليحصل على المعلومات من (سلوى) و (رمزى) :

أجابه القائد الأعلى :

- ربما كانت هذه خطوته القادمة يا (نور) ؛ فلو أنه انتحل هيئة أحدهم ، لافتقر إلى شفرة الدخول ، وباقى المعلومات اللازمة .

سأله (نور) ، وعقله يعمل بسرعة رهيبة :

- لماذا لم يلجأ إلى الأسلوب نفسه ، الذى لجأ إليه، مع الدكتور (فايز) إذن ؟! كان هذا كفيلاً بحسم الأمر ، على نحو أكثر سرعة ودقة ، بدلاً من إصابة أفراد الفريق ، واحداً بعد الآخر ، ثم حقنهم فى أثناء غيبوبتهم بمصل الحقيقة ، للحصول على المعلومات اللازمة ..

وتنهد ، وهو يهز رأسه ، مستطرداً :

- كلا .. هناك نقطة غامضة مفقودة .

قال الرائد (أيمن) :

- إنه يريدهم أحياء لسبب ما أيها المقدم .. ربما يحتاج إلى هذا ، فى مرحلة متقدمة من الخطة .

رفع (نور) سبابته ، قائلاً :

- هنا يتبقى السؤال نفسه .. لماذا ؟! لماذا يحتاج

إليهم فى مرحلة قادمة ؟! لماذا تصبح لهم ، أو لنا جميعاً أهمية ما ، تحتم بقاءنا على قيد الحياة ؟! ثم دعنا نطرح سؤالاً آخر .. لماذا لم يتحرك فور معرفته للبيانات السرية ، التى انتزعها من (رمزى) و (سلوى) .. لماذا لم ينتحل هيئة أحدهم ، كما فعل مع الدكتور (فايز) (رحمه الله) ، ويقتحم مقر الفريق ، ليحصل على كل ما يريد ؟! لماذ ؟!

قال الدكتور (جلال) :

- من المؤكد أنه لن يكون من المنطقى أن يذهب (رمزى) إلى مقر الفريق ، والكل يعلم أنه مصاب بغيبوبة عميقة فى المستشفى العسكرى .

قال (نور) :

- بالضبط ، وهذا سيعيدنا إلى السؤال الأول .. لماذا لم يفعل ما فعله مع الدكتور (فايز) ؟!

غمغم الرائد (أيمن) فى عصبية :

- إننا بهذا ندور فى حلقة مفرغة أيها المقدم ، فالشىء الوحيد المؤكد لدينا ، هو قدرته على انتحال أية هيئة يريد .

أجابه (نور) فى حزم :

- دعنى أخالفك القول يا صديقى ، فما فعله ذلك المخلوق لم يكن مجرد انتحال هيئة شخص ما ، بل هى عملية إعادة بناء كاملة لذلك الشخص ، بكل تفاصيله ، وسماته الخارجية والداخلية ؛ فلقد تم فحص بصمات أصابعه ، وبصمة قزحيته ، وتوزيع مسامه العرقية ، وجاءت النتائج كلها إيجابية تمامًا ، إلى الحد الذى خدع كمبيوتر الأمن ، المجهز لكشف أية محاولة تزييف ، حتى ولو بلغت الواحد فى كل مائة ألف ، وهذا يعنى أن ذلك المخلوق ، عندما خضع لإجراءات الأمن ، كان نسخة طبق الأصل من الدكتور (فايز) .

هتف الدكتور (جلال) :

- يا إلهى ! هذا صحيح .. كيف لم أنتبه إليه على الفور ؟!

أما القائد الأعلى ، فقد مال للأمام ، ليسأل (نور) فى اهتمام بالغ :

- وكيف أمكنه هذا فى رأيك يا (نور) ؟!

أجاب (نور) ، ووجهه ما زال يحمل إمارات التفكير العميق :

- فى أثناء قدومى إلى هنا ، راجعت على كمبيوتر

السيارة تقرير الفحص الجنائى الأوّل ، لجثة الدكتور (فايز) ، والذى جاء فيه أن قطعة صغيرة من لحم ذراعه اليمنى قد تم انتزاعها ، ولم يعثر لها على أثر .

غمغم الدكتور (جلال) فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

تحرّك (نور) فى الحجرة ، قائلاً فى حسم :

- يعنى أنه احتاج إلى عينة من الدكتور (فايز) ، حتى يمكنه انتحال هيئته ونسخ تكوينه الخلوى ، وضفيرته الجينية على نحو ما ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل الجميع يحدقون فيه بدهشة وتوتر ، قبل أن يهتف القائد الأعلى :

- ماذا هناك يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) بانفعال جارف ، وهو يقول :

- الجينات .. البصمة الجينية .. هذا تفسير كل شىء .

سأله الرائد (أيمن) ، فى حيرة كبيرة :

- ماذا تعنى أيها المقدّم ؟!

غلب الانفعال (نور) ، وهو يتحرك فى الحجرة ، مجيبًا :

ـ ذلك المخلوق يجيد استغلال البصمات الجينية إلى حد مدهش .. لقد استخدمها لينسخ فى جسده كل صفات وسمات الدكتور (فايز) ، واستخدمها من قبل فى قذائفه الموجَّهة .

كاد القائد الأعلى يقفز من خلف مكتبه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل تعنى أن .....

غلبه الانفعال ، فلم يستطع إتمام عبارته ، فى حين تابع (نور) فى حماس :

ـ هذا هو التفسير العلمى والمنطقى ، لإصرار كرات النار على مطاردة ضحية بعينها ، بكل العنف والشراسة .. لهذا تجاهلت (نشوى) ، وواصلت مطاردة (رمزى) ، حتى ظفرت به .. ولهذا أيضًا تفادتها ، بانحناءة سريعة قوية ، لتكمل مطاردة (سلوى) فى المنزل .. لأنها تتعقب بصمة جينية بعينها .. بصمة لا تتشابه مع أية بصمة أخرى ، فى الكون كله .. هذا أيضًا تفسير تزايد سرعتها ،

وارتباطها بالجسم الذى تطارده ، وتفسير تغير ألوانها ، كلما اقتربت أو ابتعدت عن الهدف ، الذى تمت برمجتها للانقضاض عليه .

كان الدكتور (جلال) يستمع إليه مبهوتًا ، ثم لم يلبث أن تمتم :

ـ يا إلهى ! لدينا بالفعل مشروع لإنتاج قذائف موجَّهة ، تعتمد على تعقُّب البصمة الجينية ، ولكن أقصى ما نحلم به هو أن تنجح فى دفعها إلى تعقُّب فصائل حيوانية بعينها ، مثل الأسود أو النمور أو حتى الحيتان ، ولكننا لم نتخيَّل قط أن الأمر يمكن تطويره ، بحيث تتعقَّب بصمة جينية لشخص بالتحديد .. هذا يفوق أكبر طموحاتنا .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ ويعنى أن خصمنا ، أيًا كانت هويته ، يفوقنا علمًا وتقدمًا بعدة مراحل .

غمغم (نور) ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ ولكن على النهج نفسه .

سأله (أيمن) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى أيها المقدَّم ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلا :

ـ الواقع أنه لولا العنصرين المجهولين ، فى تلك التركيبة الكيماوية الغامضة ، لتصورت أن ..

بتر عبارته بغتة ، ليهتف فى انزعاج :

ـ رباه ! المادة الغامضة ! لقد كان هدفه من اقتحام مركز الأبحاث هو تدمير عينة المادة والبلور النقى .

بدت الحيرة على القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ هذا ما يبدو واضحًا منذ البداية يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ ولكنه يعنى أنه سيسعى لتدمير العينات الأخرى أيضًا .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ عينات أخرى ؟! أهناك عينات أخرى ؟!

انطلق (نور) يعدو فجأة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. توجد عينات أخري هناك ..

وغادر الحجرة كلها ، مضيفًا بكل قلق الدنيا :

ـ فى المستشفى ..

تبادل الرجال الثلاثة نظرة ملؤها الذعر والانزعاج ، وقد أدرك كل منهم ذلك الخطر ، الذى سيبرز أنيابه هناك ..

فى المستشفى العسكرى ..

* * *

ارتسمت أمارات الجدية والاهتمام على وجه الدكتور (يحيى) ، وهو يراجع نتائج فحص وتحليل المواد الكيماوية ، التى تم استخلاصها من بشرة ودماء (رمزى) و (سلوى) و (أكرم) ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى توتر ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! هناك خطأ ما حتمًا !

فركت (نشوى) عينيها بأصابعها فى إرهاق ، وهى تسأله :

ـ أى خطأ ؟!

دقّ التقرير بسبّابته فى عصبية ، مجيبًا :

ـ خبراء المعامل عجزوا عن تحليل المادة المستخلصة من البشرة ، ويؤكدون أنها تحوى عنصرين مجهولين .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

ـ عنصرين مجهولين ؟! هذا مستحيل ! لا توجد أية عناصر مجهولة في زمننا هذا .

أشار بسبّابته ، قائلا :

ـ بالضبط ، وهذا ما يؤكد وجود خطأ ما .

مدت يدها إليه ، قائلة :

ـ دعنى ألق نظرة .

ناولها التقارير ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن أجهزتكم مصابة بخلل ما .. عناصر مجهولة ؟! يا للسخافة !

بدا عليها القلق والحيرة ، وهى تراجع التقارير ، مغمغمة :

ـ ولكن كل شيء يبدو سليمًا للغاية .. لقد تم فحص عينة البشرة والدم أربع مرات ، باستخدام أحدث وأدق أجهزة التحليل والكمبيوتر فى المعامل العسكرية ، وجاءت النتيجة واحدة فى كل مرة .. ثم تعرّف مادة (بنتوثال الصوديوم) ، فى دماء أمى و (رمزى) ، مع مادة كيماوية أخرى ، ذكروا تركيبها بمنتهى الدقة ، أما عينات البشرة ، فقد حوت مادة مجهولة ، تتكوّن من الكربون والفسفور والصوديوم والنيتروجين ، بالإضافة إلى عنصرين غير معروفين .

لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ هراء .. ذلك الجزء الأخير هراء فى هراء ..

كلنا نعلم أن عناصر الطبيعة كلها معروفة ، ومرتبة بمنتهى الدقة فى الجدول الدورى الحديث .

حدّقت (نشوى) فيه لحظة ، قبل أن تقول فى شيء من الذعر :

ـ ربّاه ! أتدرك ما يعنيه هذا ؟!

هتف فى حنق :

ـ يعنى أن رجال المعمل غير أكفاء للقيام بعملهم .

قالت فى عصبية :

ـ بل يعنى أن تلك المادة لم تأت من مصدر أرضى.

هتف بدهشة مستنكرة :

ـ لم تأت من ماذا ؟! ربّاه ! هل سنقفز إلى تلك التحليلات الخيالية مباشرة ؟! لا يا سيدتى .. دعينا نتأكد أولًا من أن أجهزة الفحص والتحاليل لديهم ليست مصابة بخلل ما .

ثم اختطف منها التقرير ، مستطردًا فى صرامة :

ـ سأراجع كل شيء بنفسى أولًا .

همّت بالنهوض لمصاحبته ، إلى المعامل الرئيسية ، إلا أنه أشار إليها فى حزم ، قائلًا :

- لا داعى.. الأمر لن يستغرق سوى نصف الساعة على الأكثر .. راجعى أنت تقارير الكمبيوتر ، وسأعود بأسرع ما يمكننى .

لم تكن ترغب فعليًا فى مصاحبته ، مع الإرهاق الشديد الذى تشعر به ، كما أنها كانت تحتاج بالفعل لمراجعة نتائج فحص الكمبيوتر ، لقوة التوصيل ، بين أمخاخ رفاقها الفاقدى الوعى ، وأطرافهم العصبية والحيوية ..

لذا فقد تركته يذهب وحده ، وانهمكت هى فى مراجعة النتائج ..

أما هو ، فقد حمل تقرير المعامل ، واتجه إليها فى حنق واضح ، ولم يكد يبلغ القسم الخاص بفحص وتحليل المواد الكيماوية ، حتى دفع بابه ، وهو يقول فى غضب :

- ما الذى تعنيه هذه التقارير الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق ذاهلاً فى الشخص الطويل القامة ، ذى المعطف الداكن ، الذى وقف فى منتصف المعمل ، حاملاً سلاحًا عجيبًا ، وقد سقط رجال المعامل على قيد ثلاثة أمتار منه ، وقد احترقت صدورهم وظهورهم ، على نحو مخيف ..

وقبل أن ينبس الدكتور (يحيى) بحرف واحد ، استدار إليه ذلك الشخص الطويل فى بطء..

وانتفض جسد (يحيى) فى عنف ، وهو يتطلع إلى العينين الرهيبتين ، اللتين بدتا أشبه بعين ثعبان ، منهما بعيون البشر ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص ، المعلق بحزامه ، والذى أعطاه إياه (نور) ، وانبعث منه صوت هذا الأخير ، وهو يهتف :

- دكتور (يحيى) .. هنا المقدم (نور) .. أحط المعامل الرئيسية بحراسة مشددة ، وامنع أى شخص من الاقتراب منها ، واحتفظ بنتائج الفحص والتحاليل فى مكان آمن، حتى أصل إليك، على وجه السرعة .. هل تسمعنى ؟! هل تسمعنى يا دكتور (يحيى) ؟!

ارتسمت ابتسامة باردة ، على شفتى ذلك الشخص الطويل ، عندما بلغ هتاف (نور) مسامعه ، وارتفع سلاحه العجيب فى وجه الدكتور (يحيى) ، الذى أطلق شهقة مذعورة ، وتراجع بحركة حادة عنيفة ، و (نور) يهتف ، عبر جهاز الاتصال فى حزامه :

- هل تسمعنى يا دكتور (يحيى) ؟!

وضغط الطويل زناد سلاحه ..

وانطلقت كرة من النار ..

ومع دويها المكتوم ، انطلقت صرخة ألم رهيبة ، انتزعت معها الدكتور (يحيى)، واقتلعته من الأرض ، ليرتطم بباب المعمل الرئيسى ، ويسقط خارجه بمنتهى العنف ، وقد اشتعلت النيران فى صدره ..

وفى الوقت ذاته ، وإثر الارتطام والسقوط ، انطلقت صفارة الإنذار بصورة تلقائية ..

وفى مكتب (يحيى) ، انتفضت (نشوى) فى عنف ، وهبت من مقعدها ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدق عبر النافذة ، فى مبنى المعامل الرئيسية ، الذى انبعثت النيران من نوافذه ، وهتفت فى هلع :

- يا إلهى ! يا إلهى !

كان رجال الطوارئ والأمن يهرعون نحو المبنى ، الذى بدا وكأنما تعرض لحادث مفاجئ ، ولكن عينيها التقطتا شخصًا طويل القامة ، على نحو مبالغ ، يسير فى الاتجاه المضاد ، مبتعدًا عن المبنى، فى هدوء عجيب ..

هدوء أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لموقف كهذا ..

وخفق قلبها ..

خفق بمنتهى العنف والذعر ، والخوف ، وهى تتابع مساره ..

كان يتجه نحو المستشفى مباشرة ..

ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تصرخ :

- يا إلهى ! أمى .. (رمزى) .. (أكرم) ..

ثم اندفعت نحو النافذة ، وفتحتها على مصراعيها ، وهى تشير إلى ذلك الشخص، صارخة بكل انفعالاتها :

- أوقفوا هذا الرجل .. إنه المسئول عن كل هذا .. أوقفوه .

كانت صرختها من القوة ، حتى إنها جذبت انتباه رجال الأمن ، الذين التفتوا إلى حيث تشير ، واستقر بصرهم على الطويل ، الذى استدار بدوره يواجههم ، فى بطء وهدوء ..

وشهقت (نشوى) فى رعب ، عندما رفع سلاحه فى وجوههم ..

وانطلقت كرات النار ..

وأمام عينيها المذعورتين ، أطاحت كرات النار بثلاثة من رجال الأمن ، اقتلعتهم من أماكنهم ، وألقت بهم لأربعة أمتار كاملة ، والنيران تشتعل فى صدورهم ورءوسهم ..

ودون إضاعة لحظة واحدة ، انطلقت أسلحة رجال الأمن كلها ، نحو ذلك الطويل ، الذى تلقى الرصاصات وأشعة الليزر فى جسده ، دون أن تتحرك قدماه قيد أنملة ..

كانت خيوط الأشعة والرصاصات ترتطم بجسده ، ثم ترتدّ عنه في عنف ، كما لو أنه يرتدى درعًا قوية ..

وفى الوقت نفسه ، كانت كرات النار تنطلق من سلاحه ، لتطيح بالمزيد والمزيد من رجال الأمن ، الذين اتجهوا بنيرانهم إلى رأس خصمهم ، وقد أيقنوا من أن درعًا ما يحمي جسده كله ..

ولكن النتائج جاءت مخيفة ..

وإلى أقصى حد ..

فكما حدث مع الجسد ، ارتدت خيوط الأشعة والرصاصات عن الوجه أيضًا ..

ولكن البشرة الصناعية ، التى تحيط بالوجه ، لم تحتمل كل هذا ..

فتمزّقت ..

وتساقطت ..

وكشفت ذلك الوجه المخيف ..

الوجه غير البشرى ..

وجه أخضر ، تغطيه حراشيف صغيرة ، بلا أنف ، تتوسّطه عينان أشبه بعيون الثعابين ، حمراء كالدم ..

ومع مرأى ذلك الوجه الرهيب ، تجمّد المشهد كله لحظة ، حدّق خلالها الجميع فى المخلوق المخيف ، الذى قطع الجمود بكرتين ناريتين ، أطلقهما من سلاحه ، واقتلع بهما رجلى أمن آخرين ..

وهنا عاد الجميع يطلقون أسلحتهم مرة أخرى ، وإن راحوا يتراجعون على نحو منتظم ، وقد خامرهم شعور باليأس ، من القضاء على خصمهم ، أو الانتصار عليه ..

ثم فجأة ، ظهر (نور) ..

كان ينطلق بسيارته كالصاروخ ، متجاوزًا مدخل المستشفى العسكرى ، ومتجهًا نحو ذلك المخلوق مباشرة ..

وفى بطء ، استدار إليه الفضائى ، وصوّب نحوه سلاحه ..

وانطلقت كرة النار ..

وفى نفس اللحظة ، وبمنتهى البراعة والدقة ،

وثب (نور) خارج السيارة الجديدة ، التى تحمل شعار إدارة المخابرات العلمية ..

وأصابت الكرة السيارة ..

ودوى الانفجار ..

واشتعلت النيران فى السيارة ، التى واصلت اندفاعها ، نحو المخلوق مباشرة ..

ثم ارتطمت به ..

وبمنتهى العنف ..

ومع ارتطامها ، دوى انفجار آخر ..

انفجار بالغ القوة والعنف ، ارتجّت معه مبانى المستشفى كلها ، واختلّ معه توازن (نشوى) ، فسقطت أرضًا ..

وعندما عاودت النهوض ، لمحت عيناها ذلك الوهج الأزرق ، الذى انطلق وهلة ، فى ممر قسم الحالات الخاصة ، ثم خبا بسرعة ..

واتسعت عيناها فى هلع ، وهى تعدو نحو حجرات العناية الخاصة ، صارخة :

- لا .. مستحيل ! مستحيل !

كان هناك طبيب وممرضتان وثلاثة من العمال ،

ملقون فى ممر القسم ، وقد اسودت أجزاء من معاطفهم البيضاء ، فى مواضع إصابتهم ..

وفى نهاية الممر ، كان هناك رجل فى ثياب عادية ، يدس سلاحًا عجيبًا فى سترته ، وينحرف ليختفى عند سلم الطوارئ ..

وبكل هلعها وجزعها ورعبها ، وثبت (نشوى) إلى حجرة أمها ، هاتفة :

- رباه ! أخشى أن ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما وقع بصرها على وجه أمها ، الراقدة فى سكون على فراشها الصغير ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة ..

أقوى صرخة رعب ، انطلقت فى ذلك المستشفى ، منذ منشئه ..

أو منذ الأزل .

* * *

٨ - المفاجأة ..

عبر الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، ممر المستشفى العسكرى ، فى خطوات واسعة سريعة ، ولم يكد يلمح (نور) ، فى قسم العناية الخاصة ، حتى اتجه نحوه مباشرة ، وهو يقول :

- كيف حالهم يا (نور) ؟!

قلب (نور) كفيه فى توتر حائر ، وهو يقول :

- لست أدرى ماذا أصابهم بالضبط يا دكتور (حجازى) ! لقد رفضت بإصرار أن يمسهم أى مخلوق ، قبل أن تفحصهم بنفسك .

قال رئيس القسم فى عصبية شديدة :

- لست أدرى كيف يفكر رجل المخابرات العلمى هذا بالضبط ! المستشفى متخم بكبار الأطباء ، فى مختلف التخصصات ، ولكنه يصر على ألا يفحص رفاقه سوى طبيب موتى .

ارتسمت ابتسامة رصينة على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- لو أن هذه كل معلوماتك عن الطب الشرعى ، فأنصحك بإعادة دراسته أيها الطبيب ، وستكتشف أن تعاملاته مع الأحياء تفوق بكثير تلك التى يقوم بها مع الموتى .

انعقد حاجبا رئيس القسم فى توتر غاضب ، ولكن الدكتور (حجازى) تجاهل هذا ، وهو يربت على كتف (نور) ، قائلا :

- هيا يا (نور) .. دعنا نفحص رفاقك أولاً ، قبل أن نتعامل مع ذلك المخلوق ، الذى قتلته بسيارتك .

كانت (سلوى) راقدة على فراشها ، فى سكون وصمت تامين ، وأجهزة الفحص ، التى تتصل بجسدها تنقل معدلات نبضها ، وتنفسها ، وإشارات مخها وأطرافها ، إلى عدد من الشاشات المحيطة بها ، فى حين جلست (نشوى) عند قدميها ، شاحبة الوجه ، زائغة العينين، ودموعها تسيل على وجنتيها فى صمت ..

الشىء الوحيد ، الذى تغير عن ذى قبل ، هو أن وجه (سلوى) وأطرافها كانت مغطاة بطبقة وردية باهتة ، كما لو أنها قد احترقت بفعل إشعاع حار قوى ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

- عندما انشغل الجميع بقتال ذلك المخلوق ، الذى قتلته سيارتى ، كان شريك له يتسلل إلى هنا ، ويقتل بعض الأطباء والممرضات ، والعاملين بالمستشفى ، ثم يفعل هذا بـ (سلوى) و (رمزى) و (أكرم) .. العجيب أن أجسادهم قد احترقت على هذا النحو ، على الرغم من أن كل الآلات والأجهزة والمعدات هنا لم تمسَّ بأدنى سوء .

قال الدكتور (حجازى) فى هدوء ، وهو يرتدى قفازه المطاطى :

- هذا أمر طبيعى .

أدارت (نشوى) عينيها إليه فى دهشة ، فى حين غمغم (نور) فى عصبية :

- طبيعى ؟!

أزاح الدكتور (حجازى) تلك الطبقة الوردية بسبابته ، عن وجه (سلوى) ، وهو يقول :

- ما ترونه أمامكما ظاهرة طبيعية ، تحدث عند تعريض الجسد البشرى للأشعة فوق البنفسجية ، التى تؤدى إلى احتراق الطبقة الخارجية الرقيقة من البشرة ، والتى تتحول إلى تلك النخالة الوردية ، التى يمكن نفضها عن الجسد ، دون أدنى ضرر .

هتفت (نشوى) فى لهفة :

- حقًا ؟!

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى توتر ، وهو يغمغم :

- احتراق البشرة ؟!

ثم التفت إلى (نشوى) ، مستطردًا فى قلق :

- هل يمكنك مراجعة نتائج الفحوص والتحاليل على الكمبيوتر ؟!

أجابته فى حيرة متوترة :

- بالطبع ، ولكن ..

قاطعها فى حزم صارم :

- ابدئى عملك على الفور .

التقطت حقيبتها الوردية الصغيرة ، ونقلت جهاز الكمبيوتر الخاص بها إلى منضدة قريبة ، وراحت توصله بمصدر التيار الكهربى ، فى حين سأل الدكتور (حجازى) (نور) فى اهتمام :

- ما الذى يدور فى ذهنك يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء يا سيدى ..

فمن الواضح أنها محاولة لمحو كل ما يتعلق بتلك التركيبة الكيماوية الغامضة ، التى سببت كل هذا .. أولاً نسف معمل مركز الأبحاث ، ومحو كل المعلومات من أجهزة الكمبيوتر هناك، ثم إصابة المعامل الرئيسية هنا ، وتدمير عينة المادة والبلور النقى، وأخيراً حرق الطبقة الخارجية الرقيقة من بشرة (رمزى) و(سلوى) و(أكرم) ، لإزالة كل أثر للمادة .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ ألا يمكن الحصول على عينة منها ، عن طريق الدم ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسف :

ـ من العجيب أنها لا تترك أثرًا كافيًا فى مجرى الدم ، وكأنما يتمّ امتصاصها من البشرة إلى الألياف العصبية مباشرة ، و ...

هتفت (نشوى) ، فى هذه اللحظة :

ـ ربّاه !

التفت إليها الاثنان فى تساؤل ، فأكملت متوترة :

ـ لقد تم محو كل النتائج ، من الكمبيوتر الرئيسى للمستشفى .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يقول :

ـ كنت أتوقع هذا .

قال الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ ولكن لو أن تلك المادة تحوى بالفعل عنصرين مجهولين ، فلماذا يسعى أى كائن لمحو كل أثر لها ؟! الطبيعي أننا لن نتوصّل لكشف أمرها ، أو دراستها قط ، إلا إذا توصّلنا إلى طبيعة العنصرين المجهولين .

غمغمت (نشوى) :

ـ ربما يحاول منعنا من التوصّل إلى هذا فى المستقبل .

انعقد حاجبا (نور) فى شدّة ، وكأنما جذبت عبارتها اهتمامه إلى أمر ما ، ولكنها انتزعته من أفكاره ، عندما هتفت فجأة :

ـ ربّاه ! هناك تلك المادة الأخرى .

سألها (نور) فى لهفة :

ـ أية مادة ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ المادة التى تم حقنها ، مع (بنتوثال الصوديوم)، والتى نعتقد أنها أخرجتهم مؤقتًا من تلك الغيبوبة .

سألها (نور) :

- هل تم تدمير كل ما يتعلق بها أيضًا ؟!

تراجعت متمتمة فى مرارة :

- للأسف .

ولكن الدكتور (حجازى) قال فى حماس :

- إنها ما زالت تسرى فى دمائهم على الأقل .

ثم التفت إلى (نشوى) ، مستطردًا :

- اطلبى من الأطباء الحصول على عينة دم ، من كل منهم ، وسأقوم بفحص هذه العينات بنفسى ، فى معامل الطب الشرعى .

قالت (نشوى) فى حماس :

- سأفعل على الفور .

ربت الدكتور (حجازى) على كتف (نور) ، قائلاً:

- أما أنت يا بطل ، فانفض عن ذهنك كل التوترات، واطمئن إلى أن زوجتك لم تفقد حملها ، على الرغم من كل ما أصابها ، وهيا بنا لنؤدى الجزء الأكثر صعوبة من المهمة .

تساءل (نور) فى حذر :

- الجزء الأكثر صعوبة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى حزم :

- نعم .. سنقوم بفحص ضحيتك .. ضحيتك الفضائية .

★ ★ ★

طرق الدكتور (ياسر) باب مكتب رئيس إدارة الاتصالات الفضائية فى انفعال واضح ، ثم دفعه ، ودلف إلى الحجرة ، قبل أن يسمع رد رئيسه ، الذى رمقه بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- دكتور (ياسر) .. أما زلت تصرّ على أسلوبك هذا ؟!

بدت الحيرة على وجه الدكتور (ياسر) ، وهو يغمغم :

- أى أسلوب ؟!

تنهّد رئيسه فى نفاد صبر ، وهو يقول :

- لا عليك .. لا عليك .. أخبرنى ماذا لديك .

أشار الدكتور (ياسر) إلى التقرير الذى يحمله ، قائلاً :

- لقد راجعت تلك الإشارة بنفسى عدة مرات ، وأخشى أن النتائج ستكون مخيبة لأملك إلى حد كبير .

امتقع وجه رئيسه ، وهو يقول :

- مخيبة لأملى ؟! ماذا تعنى ؟!

ثم اتسعت عيناه فى شىء من الارتياع، مستطردًا :

- أهى .. أهى إشارات غزو ؟!

نافسته عينا الدكتور (ياسر) فى اتساعهما ، وهو يهتف بدهشة مستنكرة :

ـ غزو ؟! إطلاقًا !

قال رئيسه فى عصبية :

ـ ولكنك أكدت أنها قادمة من الفضاء البعيد .

خفض الدكتور (ياسر) عينيه فى أسف خجول ، وهو يقول :

ـ هذا ما بدا فى البداية .

ثم استطرد فى توتر :

ـ ولكن أى عالم فى موضعى كان سيقع فى الخطأ نفسه .

سأله رئيسه فى توتر وحدة :

ـ أى خطأ ؟!

ازدرد الدكتور (ياسر) لعابه فى ارتباك ، وهو يجيب :

ـ الإشارة تم إطلاقها من هنا .. من الأرض ، باستخدام جهاز اتصال ليزرى متطور للغاية ، بحيث انعكست على أحد النجوم البعيدة ، وارتدت على نحو يوحى بأنها آتية من الفضاء البعيد .

بهت رئيسه للجواب ، وسأله فى انفعال :

ـ أتعنى أنها مجرد خدعة ؟!

هتف الدكتور (ياسر) فى حدة :

ـ خدعة سخيفة ، قام بها شخص غير مسئول ، ليوحى لنا بأننا نتلقى إشارات منتظمة من الفضاء .. مهزلة قذرة ، منحتنا الأمل فى إجراء اتصال مباشر ، مع حضارة عاقلة جديدة ، ثم خيب أملنا فى عنف .

هتف رئيسه :

ـ أهذا ما تقصده بتخييب الأمل ؟!

قالها ، وانطلق يقهقه فى مرح عصبى ، جعل عينا الدكتور (ياسر) تتسعان فى دهشة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ سيدى .. ما المضحك فى هذا ؟!

التقط رئيسه سماعة هاتف الفيديو ، وهو يقول :

ـ لن يمكنك أن تتصور ما فعلته بنا يا رجل .. لقد عشنا الساعات الماضية فى رعب هائل ، متصورين أننا قد صرنا هدفًا لمحاولة غزو فضائية جديدة .

ظهر وجه الدكتور (جلال) فى تلك اللحظة ، على شاشة هاتف الفيديو ، فاستطرد رئيس إدارة الاتصالات الفضائية ، فى شىء من المرح :

- إنذار كاذب يا سيدى .. الإشارة التى تم التقاطها مجرد إشارة منعكسة ، بثها شخص ما من الأرض .. إنها ليست مقدمة غزو ، كما كنا نتصور .

سأله الدكتور (جلال) فى حزم ، دون أن يشاركه مرحه :

- وهل توصلتم إلى فحوى الرسالة ؟!

غمغم رئيس إدارة الاتصالات الفضائية فى توتر :

- قلت لك : إنها مجرد إشارة منعكسة ، و ...

كرر الدكتور (جلال) فى صرامة :

- هل توصلتم إلى فحواها ؟!

انقلبت ملامح رئيس الإدارة فى ضيق ، وهو يدير عينيه إلى الدكتور (ياسر) ، قائلاً فى عصبية :

- هل بذلتم شيئًا من الجهد ، لفك رموز تلك الرسالة المنعكسة ؟!

أجابه الرجل فى حماس :

- إنها لم تكن تستخدم شفرة معقدة ، كما كنا نتصور ، وإنما تستخدم نطاقًا ثنائيًا بسيطًا ، و ...

قاطعه رئيسه ، فى عصبية أشد :

- هل عرفتم فحواها ؟!

أومأ الدكتور (ياسر) برأسه ، قائلاً :

- بالطبع ، ولكننى أعتقد أن الأمر لم يعد مجديًا الآن .. وعلى أية حال ، فهى عبارة بسيطة ، تقول : « كل شىء معد .. نحن فى انتظاركم » .

اتسعت عينا رئيسه عن آخرهما ، عندما سمع العبارة ، وفهم مغزاها على الفور ..

وبمنتهى العنف ، هوى قلبه بين قدميه .. دفعة واحدة ..

* * *

رفع قائد فريق البحث منظاره المقرب ، المزود بجهاز الرؤية الليلية ، إلى عينيه ، وسيارة (الجيب) القوية تنطلق به ، على رمال الصحراء الكبرى ، وقال يملى جهاز التسجيل الخاص ، المتصل بكمبيوتر السيارة :

- اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وعشر .. تم توسيع نطاق البحث ، إلى دائرة نصف قطرها كيلومترين كاملين ، فى المرحلة الثالثة من العملية .. لا توجد أية آثار للسقوط أو الارتطام .. كل شىء يبدو عاديًا .. الرادار لم يسجل سوى وجود الصخور التقليدية ، وجبال الرمال .

تنحنح قائد السيارة ، وهو يسأله فى حذر :

ـ هـل تعتقد أن هـذا يمكن أن يقودنـا إلى شـىء يا سيِّدى ؟!

مطّ القائد شفتيه ، مغمغمًا :

ـ إننا نؤدى واجبنا فحسب يا رجل .

هزّ السائق كتفيه ، قائلاً :

ـ ولكن الأمر واضح تمامًا يا سـيِّدى .. لقد انفجر ذلك الشىء ، قبل أن يبلغ الأرض ، وتحوّل إلى مئـات الشظايا الصغيرة ، التى انتشرت فى المنطقة ، والتـى مررنا بها حتمًا ، دون أن تلفت انتباهنا .

هزّ قائده رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا رجل ! لو أن ذلك الجسم قد انفجر ، فى أية مرحلة من مراحل هبوطه ، قبل أن يبلغ رمـال الصحـراء ، لالتقطت أجهزة المتابعـة صدى انفجـاره حتمًا ، ولترك أثرًا فى الرمال ، على نحو أو آخر .

قال السائق فى توتر :

ـ ربما انفجر على ارتفاع كبير .

أجابه قائده فى حزم :

ـ ولماذا لم تلتقط الأجهزة التى تابعت هبوطـه ذلك الانفجار المزعوم إذن ؟!

وعاد يرفع منظاره إلى عينيه ، مستطردا فى حزم أكبر :

ـ كـلا يا رجـل .. ذلك النيزك لـم ينفجـر حتمًـا ، لا على مسافة كبيرة ، أو حتى ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يرتفع عن مقعده فى حركة حادة ، هاتفًا :

ـ أوقف السيارة يا رجل .. أوقف السيارة .

ضغط السائق فرامل السيارة بحركة آلية ، فتوقفت على نحو مباغت ، كـادت عجلـة القيادة تختلّ معه ، لولا أن أمسك بها الرجل فى قوة ، هاتفًا :

ـ ماذا هناك يا سيِّدى ؟!

تجاهل قائده سؤاله تمامًـا ، وهـو يلتفت إلـى فنـى الرادار ، هاتفًا :

ـ اتجه بالرادار إلى هناك .. إلى الشمال الشرقى .. عند الساعة الثانية .. هل تبدو لك الأمور عادية هناك؟!

وجّه الرجل جهاز الرادار ، إلى حيث أشـار قـائده ، وطالع الشاشة فى اهتمام بالغ ، وهو يقول :

ـ إنهـا مجموعـة من الصخـور ، مختلفـة الأحجـام والأشكال .

تطلّع القائد إلى تلك البقعة ، عبر منظـاره المجهّز للرؤية الليلية ، وهو يقول فى انفعال واضح :

- بالضبط .. وبين هذه المجموعة توجد صخرة ، فى حجم سيارة كبيرة .. هل ترصدهما جيدًا ؟!

أجابه الرجل فى شىء من الحماس :

- نعم أيها القائد .. ربّاه ! إنها تبدو أقل كثافة مما حولها ، كما لو .. كما لو أنها ..

هتف القائد ، مكملاً :

- مجوّفة .. أليس كذلك ؟!

برز حماس فنى الرادار فى وضوح ، وهو يهتف :

- بالضبط !

ثم تساءل مبهورًا :

- ولكن ما الذى أثار انتباهك بشأنها يا سيدى ؟!

أجابه القائد فى انفعال :

- كان يمكن أن نمرّ بها ، دون أن انتبه إلى وجودها ، لولا أنها تحركت .

هتف السائق وفنى الرادار ، فى آن واحد ، وبدهشة عارمة :

- تحركت ؟!

أجابهما القائد ، وهو يلتقط بوق جهاز التسجيل ، المتصل بكمبيوتر السيارة :

- كانت خطوة حمقاء ، ولكن من حسن حظنا أنها قد حدثت فى الوقت المناسب .

وضغط زر التسجيل ، قائلاً :

- اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وعشرون .. تم رصد جسم ، تنطبق عليه صفات الهدف .. ونحن نتجه إليه مباشرة ، فى الموقع ..

راح يصف الموقع ، الذى رصد عنده تلك الصخرة المتحركة ، ويحدد احداثياته بمنتهى الدقة ، والكمبيوتر ينقل الموقف لحظة فلحظة ، إلى قسم المتابعة الخاص ، فى إدارة المخابرات العلمية ، فى نفس الوقت الذى تحركت فيه سيارات البحث الثلاث نحو موقع الرصد ..

ولم تستغرق الرحلة سوى ست دقائق فحسب ، توقفت بعدها القافلة الصغيرة ، على بعد عشرة أمتار من الصخرة ، وقال القائد ، عبر جهاز التسجيل :

- اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وست وعشرون .. نحن على بعد عشرة أمتار من الهدف .. الفحص الخارجى المباشر لا يشف عن شىء ، ولكن الفحص الرادارى والإشعاعى يشير إلى أننا لسنا أمام

صخرة عادية .. إنه مجرد مظهر خارجي فحسب ، ولكن الواقع أنه جسم مجوف ، يستقر وسط الصخور للتمويه .. سنحاول إجراء المزيد من الفحوص ، قبل أن نتعامل معه مباشرة .

انهمك الجميع فى عمليات الفحص ، ومحاولة كشف ما تحويه تلك الصخرة الزائفة المموهة ، ونقل قائد الفريق الرسالة التالية ، عبر الكمبيوتر :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وخمسون .. كل الفحوص الخارجية تثبت أننا أمام الهدف المنشود .. ننتظر أوامركم بالتعامل المباشر .

ران الصمت بضع لحظات ، على أجهزة الاتصال ، قبل أن ينبعث منها صوت حازم ، يقول :

ـ اثبتوا فى موقعكم .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة ، بأى حال من الأحوال .. انتظروا حتى وصول إمدادات علمية وأمنية خاصة .. أكرر .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة ، مهما كانت الأسباب .

مط قائد فريق البحث شفتيه فى استنكار ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر يا سيدى .

ثم أنهى الاتصال ، قائلاً فى ضيق :

ـ يا له من أسلوب ! لقد حققنا ما عجز عنه الجميع، دون أن نحظى بكلمة شكر أو تهنئة واحدة .. والآن ما الذى سنفعله ، حتى تصل تلك الإمدادات العلمية الأمنية ؟! هل نكتفى باحتساء القهوة ، أم نشاهد بعض أفلام الفيديو ، عبر شبكة الأقمار الصناعية ، أم ....

قبل أن يتمّ عبارته ، هتف سائقه فى ذعر :

ـ رباه ! انظر يا سيدى !

اتسعت عينا قائد الفريق، وهو يحدق فى الصخرة ، التى راحت تهتزّ فى بطء ، وغمغم ، وهو يلتقط مسماع جهاز التسجيل فى توتر :

ـ إنها تتحرك مرة ثانية ، وكأن وجودها لا يعنينا .

وعبر جهاز التسجيل ، هتف :

ـ اليوم الثامن .. الساعة ألفان وثلاثمائة وثمان وخمسون .. الهدف بدأ يتحرك .. سرعة حركته تزداد تدريجيًا .. يا إلهى ! إنه يرتفع عن الأرض .. أما زالت أوامر عدم التعامل سارية ، أم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفعت الصخرة الكبيرة عن الأرض فى بطء ، حتى ارتفاع ثلاثة أمتار ، ثم توقفت

فى الهواء ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها من جهاز الاتصال صوت يقول فى توتر :
ـ نكرر .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة .. مهما كانت الأسباب .. ردود الفعل ما زالت مجهولة .. من أجل أمنكم وسلامتكم.. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة.
انعقد حاجبا قائد الفريق ، وهو يقول فى عصبية :
ـ وماذا لو انطلق مبتعدًا ، وفقدنا أثره مرة ثانية ؟!
أتاه الصوت نفسه ، فى صرامة :
ـ لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة أبدًا .. الأوامر واضحة محدودة فى هذا الشأن .. لا تتعاملوا مع الهدف مباشرة ، مهما كانت الأسباب .
ازداد انعقاد حاجبى قائد الفريق ، وهو يتابع ببصره الصخرة الكبيرة ، التى دارت حول نفسها فى الهواء فى بطء ، وكأنما تحدّد هدفها ، وغمغم :
ـ وماذا لو فقدنا أثرها ؟!
قالها ، ثم التقط بندقية خاصة ، دفع داخلها جهاز اتصال وتتبّع دقيق ، فى حجم رصاصة صغيرة ، فغمغم السائق ، فى توتر بالغ :
ـ سيّدى .. الأوامر تحتم ألا ...
قاطعه قائده فى صرامة :

ـ اصمت .
ثم رفع البندقية الخاصة ، وصوّبها إلى الصخرة الزائفة ، وهو يغمغم :
ـ لا يمكن أن نسمح لها بالفرار مرة أخرى .
نطق كلماته ، ثم ضغط زناد البندقية ..
وانطلق جهاز التتبّع ..
وانغرس فى جسم الصخرة ..
وفى نفس اللحظة ، ارتجفت الصخرة الزائفة فى قوة ، وتألّقت مقدمتها بضوء أحمر مخيف ، فصرخ السائق :
ـ ربّاه ! ماذا يحدث يا سيّدى ؟!
ومع آخر حروف صرخته ، انطلقت من مقدّمة الصخرة الزائفة ثلاث كرات نارية كبيرة ..
واتسعت عينا قائد البحث فى ذهول مذعور ، وانطلقت صرخة مدوية ، من بين شفتى فنى الرادار..
ثم دوت ثلاث انفجارات عنيفة ..
وتناثرت شظايا سيارات (الجيب) الثلاث ، فى مساحة واسعة للغاية ..
وقبل أن يتلاشى دوى الانفجارات ، أو تتساقط الشظايا على رمال الصحراء ، انطلقت الصخرة

الزائفة بسرعة خرافية ، وتلاشى الوهج الأحمر فى مقدمتها ، قبل أن تختفى وسط الرمال والصحراء .. دون أدنى أثر .

* * *

ألقى الدكتور (حجازى) نظرة طويلة ، على المخلوق الممدد أمامه ، على مائدة الفحص ، فى مشرحة المستشفى العسكرى ، وتبادل نظرة هادئة مع (نور) ، قبل أن يملى جهاز التسجيل الخاص به ، قائلاً:

ـ الجثة المسجاة أمامى لكائن غير أرضى .. يبلغ طوله المترين تقريبًا ، جسمه كله مغطى بحراشيف خضراء صغيرة ، يبدو أنها المسئولة عن ارتداد كل الرصاصات وخيوط الأشعة ، التى أطلقها عليه رجال الأمن .. الوجه أشبه بوجوه الثعابين .. لا أثر للأذنين أو الأنف .. فقط فم واسع بلا شفتين ، وعينان واسعتان ، لكل منهما شق طولى ، يجعلهما أشبه بعيون الزواحف .. الرأس أصلع تمامًا ، تنتشر فيه الحراشيف نفسها .. يوجد غشاء رقيق ، بين أصابع اليدين والقدمين ، أشبه بالموجود لدى البرمائيات ، وبعض أنواع الكائنات البحرية .. الجنس يصعب أو يستحيل تحديده من الفحص الظاهرى ، لعدم وجود

أية أعضاء خارجية .. الشكل العام يوحى بأننا أمام زاحفة كبيرة ، وليس أمام كائن بشرى مألوف(*) .

غمغم (نور) :

ـ هناك نظرية علمية قديمة ، تشير إلى احتمال أن تنشأ الحياة على الكواكب المختلفة، الشبيهة بالأرض، فى صور متغيرة، كأن تتطور فى كوكب ما عن القردة ، وفى آخر عن الزواحف ، وغيرها(**) .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يلتقط مشرطه ، قائلاً :

ـ هل تؤمن بهذه النظرية حقًا يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ كلا فى الواقع يا دكتور (حجازى) ، فهى نظرية ناشئة عن نظرية النشوء والارتقاء للعالم (داروين) ، وأنا أؤمن بأن الله (سبحانه وتعالى)

(*) الزواحف : طائفة من الفقاريات ، متغيرة الحرارة ، تتنفس بالرئات ، أجسامها مغطاة بالحراشيف والصفائح العظمية ، أو الأصداف القرنية، وتشمل هذه الطائفة العظاءات (السحالى)، والحيات، والحرابى ، والسلاحف ، والتماسيح ، وتمتد إلى الديناصورات المنقرضة .

(**) نظرية علمية حقيقية .

قد خلق الإنسان على شاكلته ، وأنه (عز وجل) ، لا يخلق أى كائن إلا على أفضل صورة(*) .

تطلع الدكتور (حجازى) إلى مشرطه، وهو يقول:

ـ هذا لا يتعارض مع وجود حياة عاقلة أشبه بالزواحف ، على كوكب ما يا (نور) : فالصورة الأفضل ، هى الصورة التى تناسب شكل الحياة ، فى مكان ما ، وربما كان الكوكب ، الذى أتى منه هذا الكائن ، هو جنة الزواحف .

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

لوح الدكتور (حجازى) بالمشرط فى يده ، قائلاً :

ـ والآن .. هل تعتقد أن المشرط العادى ، يمكن أن يخترق هذه الحراشيف القوية ؟!

هز (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا بالطبع .. لقد صدت خيوط الليزر القاتلة ، ورصاصات رجال الأمن .

(*) تواجه نظرية (داروين) هجوما واعتراضات عنيفة ، منذ مطلع التسعينات .

أشار الدكتور (حجازى) بسبابته ، قائلا :

ـ هذا ما يبدو من الناحية النظرية ، ولكن الواقع يختلف تمامًا ، فتلك الحراشيف يمكنها أن تصد أقوى الرصاصات ، عندما تسقط عليها بشكل عمودى ، أما لو وضعت مشرطًا عاديًا كهذا أسفل أية قطعة منها ، ومررته عبر منطقة التقائها بزميلتها ، بزاوية حادة للغاية ، فسيمكنك انتزاع الحرشوفة من موضعها بمنتهى البساطة .

قرن قوله بالفعل ، وهو يشرح نظريته ، وانتزع إحدى حراشيف الجسد بالفعل ، ثم دس مشرطه فى الجزء الرخوى تحتها ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ أرأيت ؟!

هز (نور) رأسه مرة أخرى ، مغمغمًا :

ـ علمك يبهرنى دائمًا يا دكتور (حجازى) .

استخدم الدكتور (حجازى) وسيلته هذه ، لينتزع صفًا من الحراشيف الصغيرة ، فى خط طولى ، عند منتصف بطن المخلوق ، قائلاً :

ـ أعظم ما فى العلم ، هو أنه يجعل المستحيل

ثم دس مشرطه فى الجزء الرخوى تحتها ، وهو يقول بابتسامة هادئة :
ـ أرأيت ؟!

ممكنا دائما ، ويثبت أن القوة ليست الوسيلة الوحيدة للفوز ..

غمغم (نور)، وهو يتابع عمل الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ وبخاصة فى عصرنا هذا .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ بالضبط .. فعندما يصبح العلم هو الركيزة الأساسية للحياة ، لا ينبغى أبدًا أن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فسأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا هناك يا دكتور (حجازى) ؟!

غمغم كبير الأطباء الشرعيين :

ـ مستحيل ! مستحيل تمامًا .

دار (نور) حول مائدة الفحص ، وهو يتساءل فى توتر زائد :

ـ ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) خطوة إلى الخلف ، وهو يقول فى انفعال :

ـ الأنسجة كلها حقيقية وسليمة تمامًا ، حتى إننى لم أتوقع هذا .. لم أتوقعه قط ..

سأله (نور) ، وهو يلقى نظرة على ذلك الجزء ، الذى شقه مشرط الدكتور (حجازى) ، فى بطن الكائن الراقد أمامه :

ـ ما هذا الذى لم تتوقعه ؟!

ولم يكد يتمّ سؤاله ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذهول تام ، وهو يحدق فيما أمامه ..

فما يطلّ من بطن ذلك الكائن ، كان يؤكد أنه ليس بشريًا ..

بل وليس مخلوقًا حيًا ، بأى حال من الأحوال ..

لقد كان مجرد آلة ..

مجرد شخص آلى ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

أكبر مفاجأة .

* * *

٩ ـ النـار ..

انبعثت موسيقى هادئة خافتة ، داخل حجرة واسعة خالية ، إلا من شاشة رصد كبيرة ، تتصل بجهاز كمبيوتر متطوّر ، وأمامها مقعد وثير كبير ، استقر فوقه ذلك الشخص ، الذى راح يراقب الشاشة فى اهتمام ، استغرق حواسه كلها ، وأصابعه تنقر متتبعة الإيقاع الموسيقى ، على لوحة الأزرار ..

ولدقائق طويلة ، لم ينبس الشخص ببنت شفة ، وهو يتابع بعض النقاط المضيئة ، المتحركة فى مواقع شتى على الشاشة ، ثم لم يلبث أن تمتم فى خفوت :

ـ تدخلك كاد يفسد الأمور كلها أيها المقدم .. العجيب أنك تظهر دائمًا فى الوقت المناسب ، بالنسبة لك ، كما قالوا عنك ، وكأنما هناك مغنطيس مدهش ، يجذبك دومًا إلى مواقع الأحداث ..

نطقها ، وعاد يتطلع إلى الشاشة بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتابع بنفس الخفوت :

- من سوء حظك أن هذا الاحتمال كان واردًا منذ البداية .. وهذا يعنى أنك لم ولن تفاجئنى أبدًا ، مهما تصورت أنك الأبرع أو الأذكى .. إننى لن أقع فى تلك الأخطاء السخيفة ، التى وقع فيها الآخرون .. المأساة التى ستفاجئك أنت ، هى أننى أتميز بنقطة مهمة للغاية .

واسترخى فى مقعده الكبير الوثير ، مضيفًا :

- إننى أعلم كل شىء عنك ، وأنت تجهل كل شىء عنى .

فرد كفيه ، وضمهما ، وألصق إبهاميه بصدره ، معتمدًا بذقنه على سبابته ، وظل فى هذا الوضع لدقيقتين كاملتين ، انهمك خلالهما فى تفكير عميق ، قبل أن يتمتم :

- فليكن .. كنت أدخرك للنهاية ، ولكن يبدو أن هذا بالتحديد هو الخطأ الأكبر، الذى ارتكبه الآخرون .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم :

- والذى لن أقع فيه قط .

قالها ، وضغط زرًا فى لوحة الأزرار ، ولم يكد يفعل ، حتى تألقت نقطة حمراء مضيئة على الشاشة، وراحت تتحرك فى سرعة، متجهة نحو هدف جديد ..

نحو المستشفى ..

العسكرى .

* * *

لم تشعر (مشيرة) فى حياتها كلها بذلك الفيض من السعادة والحنان ، مثلما شعرت به فى تلك الساعات ، التى ضمت فيها إليها (محمود) الصغير ..

كل الأمومة ، الكامنة فى أعماق أنوثتها ، تفجرت دفعة واحدة ، وهى ترعاه وتعنى به ، وتمنحه كل اهتمامها ووقتها ..

لقد استحوذ على كل تفكيرها ..

كل مشاعرها ..

بل كل ذرة فى كيانها ..

ولعل أكبر دليل على هذا هو أنها قد قبعت فى منزلها طوال اليوم ، وتركت مهمة متابعة كل الأحداث الغامضة والمثيرة لمساعديها ، وطاقم التصوير الخاص بالجريدة ..

بل ولم تشعر حتى بأن عقارب الساعة قد أشارت إلى منتصف الليل ، دون أن يعود زوجها (أكرم) إلى المنزل كالمعتاد ..

وبكل الحب والحنان ، احتضنت الصغير ، الذى غلبه النوم ، وأرقدته فى فراشه ، و ...

وفجأة ، قرع جرس الباب ..

وانتفض جسدها كله ، وكأنما ارتكب ذلك القادم جريمة لا تغتفر ، وهو يزعج الصغير النائم بذلك الرنين ..

وعندما تكرر قرع الجرس ، على نحو يوحي بتوتر القادم وتعجله ، انطلقت تعدو نحو الباب على أطراف أصابعها ، وفتحته هاتفة فى صوت خافت غاضب :

ـ ماذا أصابك ؟! ألا يمكنك أن تقرع الجرس فى هدوء ؟!

حدق مساعدها الأول فى وجهها بدهشة ، وهو يتساءل :

ـ وكيف يمكن قرع الجرس فى هدوء ؟!

هتفت به محنقة ، وهى تخفض صوتها أكثر ، وتغلق الباب خلفه فى حرص :

ـ اقرعه مرة واحدة ، وامنحنى وقتًا للإجابة على الأقل .

ثم استطردت فى حدة :

ـ واخفض صوتك بقدر الإمكان .. الصغير نائم .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن عدل عنه ، وهتف فى انفعال :

ـ هل بلغك ما حدث ، فى المستشفى العسكرى ؟!

نجحت عبارته فى استفزاز فضولها الصحفى ، فسألته فى لهفة :

ـ وماذا حدث هناك ؟!

أجاب بنفس الانفعال :

ـ انفجارات ، وتبادل إطلاق نيران .. من الواضح أنها محاولة تخريب متعمدة .

قالت فى دهشة :

ـ محاولة تخريب ، فى المستشفى العسكرى ؟! ومن ذا الذى يسعى لتخريب المستشفى ؟! إى إرهابى سيسعى حتمًا خلف وحدة عسكرية ، أو مخزن للذخيرة ، وليس خلف مستشفى ، حتى ولو كان مستشفى عسكريًا .

وافقها مساعدها بإيماءة من رأسه ، وتابع فى حماس :

ـ هذا ما قدره الجميع ، والجهات العسكرية تخفى تفاصيل ما حدث كالمعتاد ، ولكن بعض الشهود

أشاروا إلى اقتحام المقدم (نور) للمكان ، فى أثناء تبادل إطلاق النار ، ويؤكدون أنه الذى حسم الموقف كله .

سألته فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أن لهذا علاقة بما أصاب زوجته هذا الصباح ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ بالتأكيد ؛ فالأمر لا يتعلق بزوجته فحسب .. الفريق كله مصاب ، ويرقد فى غيبوبة عميقة ، و ...

قاطعته مصدومة :

ـ الفريق كله ؟! ماذا تعنى ؟! ماذا عن (أكرم) ؟!

ارتبك مساعدها ، وهو يحدق فيها ، قائلاً :

ـ ألا .. ألا تعلمين حقًا ما حدث ، يا سيدة (مشيرة) ؟!

خفق قلبها فى قوة ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، وخيل إليها أن أطرافها كلها قد ارتجفت دفعة واحدة ، وهى تسأله :

ـ وما الذى حدث ؟!

ازدرد لعابه فى ارتباك ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! كنت أتصور أن الأخبار قد بلغتك فور حدوثها ، و ..

صاحت به فى حدة :

ـ ما الذى حدث ؟!

حدّق فى وجهها لحظة فى تردد ، قبل أن يجيب :

ـ لقد .. لقد أصيب السيد (أكرم) أيضًا ، وهو يرقد الآن فى المستشفى المركزى ، فى غيبوبة عميقة ، و ...

أمسكت ذراعه بغتة ، وانغرست أصابعها فيه ، على نحو جعله يبتر عبارته ، ويهتف فى ألم ودهشة :

ـ سيدة (مشيرة) .. إنك ..

قاطعته فى صرامة عصبية :

ـ إنك لن تغادر هذا المنزل .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنين يا سيدة (مشيرة) ؟!

انتزعت أصابعها من ذراعه ، وابتعدت عنه ، وهى تلتقط معطفها ، قائلة بلهجة آمرة :

ـ أعنى أنك ، ومنذ هذه اللحظة ، ستتولى مهمة خاصة للغاية ، لحين عودتى .

سألها فى حيرة قلقة :

ـ أية مهمة ؟!

أجابته فى صرامة ، وهى ترتدى المعطف :

ـ سترعى (محمود) الصغير .

حدق فيها لحظة ، قبل أن يهتف معترضًا ومستنكرًا :

ـ أرعى الصغير ؟! سيدتى .. إننى لست مربية أطفال ، ولست أظننى أصلح لمثل هذه الـ ...

قاطعته ، وهى تفتح الباب ، قائلة فى صرامة عصبية ، لا تقبل النقاش :

ـ ولو أسأت إليه ، فالأفضل أن تبحث لنفسك عن وظيفة أخرى .

تدلى فكه الأسفل فى دهشة غامرة ، فى حين ألقت هى عبارتها ، وأغلقت الباب خلفها ، بمنتهى الـ .... هدوء .

★ ★ ★

« لم نعثر على أدنى أثر لتلك المادة فى دمائهم .. » .

ردد رئيس قسم العناية الخاصة العبارة ، فى توتر بالغ حائر ، وصوت مضطرب متوتر ، فاتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ ماذا تعنى أيها الطبيب ؟! لقد كانت هناك ، وتم الحصول على عينة منها بالفعل .

هز كتفيه ، قائلاً :

ـ ولكنها لم تعد كذلك .. لقد تلاشت .. انتهى مفعولها .. ذابت فى بلازما الدم(*)، أو لفظها الجسم ، عبر أجهزة التنقية المختلفة .. البول أو العرق ، أو حتى الأنفاس التى تتردد فى الصدر . لا توجد مادة تبقى فى الجسد إلى الأبد .

عضت شفتيها فى مرارة ، هاتفة :

ـ إنها ليست مجرد مادة .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف :

ـ إنها الأمل .. آخر أمل فى إعادة أمى وزوجى و (أكرم) إلى وعيهم .

زفر الرجل فى أسى ، قائلاً :

ـ ربما لهذا بالذات حدث ما حدث .

حدقت فى وجهه ، والدموع تسيل على وجنتيها ، فتابع فى أسف :

(*) يتركب الدم من جزأين أساسيين.. ١ ـ البلازما ، وتكون ٥٥٪ من حجمه ، وبها بروتينات تقوم بوظائف شتى ، ٢ ـ الخلايا الدموية ، وتشمل خلايا الدم الحمراء ، وكرات الدم البيضاء ، والصفائح الدموية .

- لقد قتل ذلك الشىء الدكتور (يحيى) المسكين ، الذى لم ينعم بالعمل مع فريقكم لأكثر من ساعات معدودة ، ودمر المعامل الرئيسية بالكامل ، ومحا كل النتائج من شبكة الكمبيوتر ، وهو يعلم أن تلك المادة المضادة ستتلاشى تمامًا من الدم ، ولن يعود بوسعنا معرفة تركيبها ، أو استخدامها لإنعاش هؤلاء الغارقين فى غيبوبتهم الغامضة .

انتحبت بضع لحظات ، عجزت خلالها عن منع دموعها من الانهمار على وجهها ، ثم لم تلبث أن تساءلت :

- وماذا عن نتائج اختبارات التوصيل ؟!

قال فى اهتمام :

- أتقصدين تلك الخاصة بانتقال الإشارات عند رفاقك .. لقد تم محوها أيضًا بالطبع ، ولكن هذا ليس بالأمر الخطير ، فنحن نعيد إجراءها الآن ، ويمكنك متابعة النتائج الأولية على الكمبيوتر أولاً فأول ..

انعقد حاجباها ، وهى تغمغم :

- على الكمبيوتر ؟!

وبسرعة ، التقطت حقيبتها الوردية ، وأخرجت

منها جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وأوصلته بكابلات الشبكة الرئيسية ، وضغطت أزراره ، قائلة :

- لقد انتهوا من إجراء الاختبارات بالنسبة لأمى بالفعل ، وهم يجرونها الآن على (أكرم) .

سألها الرجل فى اهتمام :

- وماذا عن اختبارات السيدة (سلوى) ؟!

طالعت الأرقام فى سرعة ، وهى تجيب :

- هناك خلل واضح فى التوصيل ، يكمن فى الحبل الشوكى ، عند الفقرة العنقية السابعة تقريبًا ، وبسببه يتم انتقال خمسة فى المائة فحسب ، من إشارات المخ ، إلى الأجهزة الحيوية ، والألياف العصبية الطرفية .

بدا الاهتمام على رئيس القسم ، وهو يقول :

- عجبًا ! لقد فحصنا كل خلايا الحبل الشوكى ، ولم نجد أية إصابات واضحة أو حتى دقيقة ، خلال مساره كله .

غمغمت فى مرارة :

- إنها تلك المادة الغامضة .

أشار بسبابته ، قائلاً :

- ولكن ما القاعدة التى تتبعها ، لتصل إلى هذه النتيجة العجيبة ؟! كيف يمكنها أن تعترض طريق الإشارات المخية ، أو تضعف تأثيرها ؟! ولماذا عند الفقرة العنقية السابعة بالذات ؟! إنها أمور لم يعرفها العلم والطب من قبل قط !!

كانت عيناها تتابعان نتائج الفحص ، التى ينقلها الكمبيوتر لحظة فلحظة ، وهى تقول :

- لهذا نشعر جميعًا بالحيرة ، فلو أن ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى توتر ، فسألها رئيس القسم فى قلق :

- ماذا هناك ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- إنها نتائج فحص (أكرم) .. فبخلاف أمس ، يستطيع حبله الشوكى نقل أكثر من خمس عشرة فى المائة ، من الإشارات المخية .

تساءل رئيس القسم فى اهتمام :

- ألأنه أكبر حجمًا ، وأكثر قوة ؟!

صمتت بضع لحظات ، ثم غمغمت ، وهى ترفع عينيها إليه :

- ربما .. هذا ما ستؤكده أو تنفيه نتائج فحص (رمزى) ، أو ...

بترت عبارتها هذه المرة أيضًا ، وهى تحدق فى نقطة ما خلفه ، فتساءل فى عصبية ، وهو يستدير ليلقى نظرة على ما أثار توترها وذعرها إلى هذا الحد :

- ماذا هناك هذه المرة ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع حاجباه إلى أقصاهما ، واتسعت عيناه فى دهشة مذعورة ، وهو يحدق عبر النافذة فى كرة من اللهب الأخضر ، مرقت أمامه بسرعة كبيرة ..

وانطلقت صرخة من حلق (نشوى) ، عندما بدا لها لحظة أن تلك الكرة ستنقضّ عليها مباشرة ، إلا أنها فوجئت بها تتجاوز النافذة ، وتواصل طريقها إلى أسفل، فقفزت من مقعدها ، ووثبت نحو النافذة ..

وخفق قلبها بين ضلوعها فى عنف ..

فبكل سرعتها وإصرارها .. وشراستها أيضًا ، كانت كرة النار تندفع نحو مبنى صغير من طابقين ، فى الحديقة الخلفية للمستشفى ..

المبنى الذى يضمّ ثلاجة حفظ الموتى .. ومشرحة المستشفى .

وانطلقت صرخة ذعر أخرى، من حلق (نشوى) ..

لقد أدركت الآن ، من هى الضحية التالية للكرة ..
كرة النار ..
الرهيبة .

* * *

لثوان ، ظلّ (نور) والدكتور (حجازى) يحدقان فى كومة الأسلاك ، ودوائر السليكون الرقيقة ، التى بدت واضحة ، أسفل ذلك الغلاف الحرشفى للشخص الآلى ، الراقد أمامهما على مائدة الفحص ، وقد هبط عليهما صمت رهيب ثقيل ..

ثم قطع الدكتور (حجازى) ذلك الصمت ، وهو يقول فى توتر بالغ :

- مستحيل ! إننى لم أتصوّر هذا قط .. الحراشيف والأنسجة تحتها بدت طبيعية للغاية .

غمغم (نور) :

- لا يمكن الجزم الآن .

مدّ الدكتور (حجازى) سبّابته ، ينتزع جزءًا من الأغشية الرقيقة شبه المخاطية ، التى تربط الحراشيف بعضها بالبعض ، وألقى عليه نظرة قريبة للغاية ، قبل أن يقول فى عصبية :

- مستحيل يا (نور) ! إنها أغشية حية ، دون

أدنى شك .. إنك تتحدث إلى طبيب شرعى خبير ، قضى أكثر من نصف عمره فى المهنة ، ومن غير الممكن أن أخطئ فى أمر كهذا .

ثم اندفع فى حركة متوترة نحو مجهر بسيط ، فى ركن القاعة ، وألصق الغشاء الرقيق على شريحة زجاجية بسيطة ، دفعها تحت عدسات المجهر ، وألقى عليها نظرة طويلة ، قبل أن يقول فى حسم ، وبلهجة رجل يدرك جيدًا ما يقول :

- إنها أنسجة حية بالفعل .

حدّق (نور) فى ذلك الشىء الراقد أمامه ، قائلاً :

- ولكن هذا مستحيل ! الأشخاص الآلية ، التى تجمع ما بين القطع الصناعية والأنسجة الحية مجرّد خيال ، لم يتوصّل إليه العلم بعد .

عاد إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- ولكن هناك محاولات جادة لهذا(*) .

(*) يسعى بعض العلماء إلى محاولة إنتاج شخص آلى ، له غلاف من الأنسجة الحية، لاستخدامه فى التجارب العلمية والطبية . ويطلقون على المشروع اسم (سيبورج) . ولكنهم لم يظفروا بنتائج مرضية ، حتى وقتنا هذا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .. هناك محاولات جادة فى هذا الشأن .

وانخفض صوته ، وهو يضيف :

- ربما تحقق نجاحات فى المستقبل .

قالها ، وانحنى يفحص الأجزاء الآلية البارزة من الشخص الآلى ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن ينتزع إحدى الدوائر الدقيقة المطبوعة ، وهو يغمغم :

- كل شىء يمكن تحقيقه مع الزمن .

تطلع إليه الدكتور (حجازى) فى قلق ، متسائلاً :

- ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط يا (نور) ؟!

اعتدل (نـور) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، حتى إن الدكتور (حجازى) كرر ، فى لهفة واهتمام :

- فيم تفكر يا (نور) ؟!

لم يبد على (نور) أنه قد سمع السؤال ، وهو يشير إلى الشخص الآلى ، قائلاً :

- ذلك الشىء لا يجمع بين الآلة والخلايا الحية فحسب ، ولكن لديه أيضًا القدرة على ما يمكن أن نطلق عليه اسم التحوُّر الجينى ، والذى أمكنه

بوساطته انتحال هيئة وتكوين الدكتور (فايز) ، والمرور عبر كل النطاقات الأمنية ، فى مركز الأبحاث.

تمتم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- التحوُّر الجينى ؟! مصطلح جديد بالفعل يا (نور) .. ولكن هذا الأمر غير علمى على الإطلاق .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- الأفضل أن نقول : إنه أمر لم يدركه العلم بعد يا دكتور (حجازى) ، فقد رأيت بنفسى ، وسجلت أجهزة الفحص أنه قد حدث بالفعل ، والأمور التى تحدث ، هى أمور علمية بحتة ، حتى وإن كنا لم ندرك ماهيتها وقواعدها بعد .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى حزم :

- ولكننا سندركها حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً .

نقل الدكتور (حجازى) بصره ، بين (نور) والآلى المسجى على مائدة الفحص، وزفر فى حرارة ، قائلاً :

- هل تعلم ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) بنظرة متسائلة ، فلوّح كبير الأطباء الشرعيين بذراعه كلها وهو يكمل :

ـ يعنى أننى سأقضى وقتًا طويلاً للغاية ، فى فحص ذلك الشىء .

لوّح (نور) بسبابته ، قائلاً ، وهو يدس الدائرة الإليكترونية ، التى انتزعها من ذلك الشىء ، فى جيب سترته الجلدية :

ـ الأكثر أهمية ، هو أنه لم يعد بإمكانك أن تفحصه وحدك يا دكتور (حجازى) ، فلا بد أن ينضمّ إليك فريق من علماء مركز الأبحاث ، وخبراء الإليكترونيات ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعثت شرارة مباغتة فى الجسم الآلى ، فوثب الدكتور (حجازى) من مكانه ، هاتفًا :

ـ ربّاه ! هل ..

لم يكن تساؤله قد اكتمل ، عندما دوى انفجار مكتوم بغتة ، داخل ذلك الآلى ..

ثم اشتعلت فيه النيران دفعة واحدة ..

وهتف (نور) ، وهو يعدو نحو أسطوانة إطفاء الحريق :

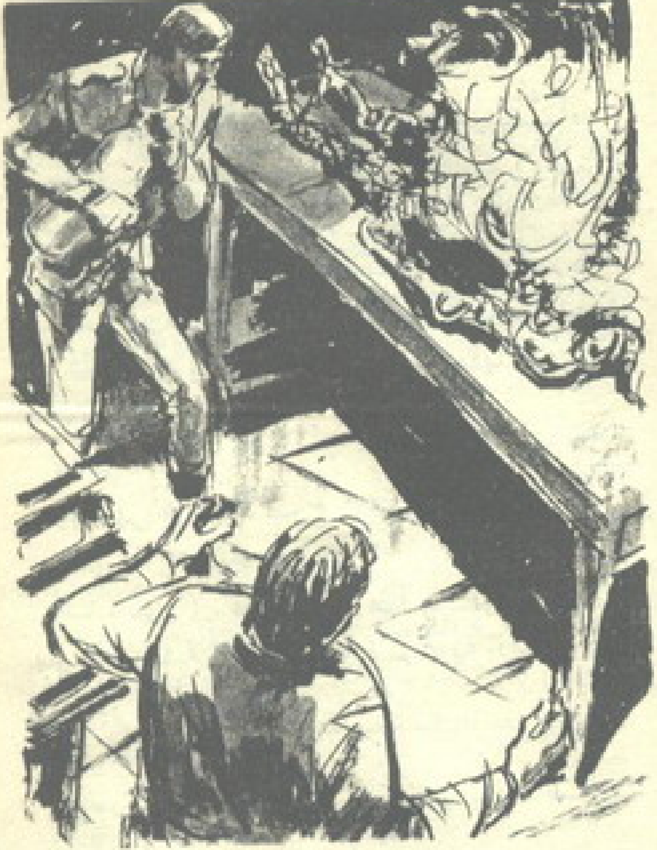

وهتف (نور) ، وهو يعدو نحو أسطوانة إطفاء الحريق :
ـ ربّاه !! إنه برنامج أمنى ، لمنع فحصه أو تحليله ..

ـ ربَّاه ! إنه برنامج أمنى، لمنع فحصه أو تحليله ، إذا ما توقّف عن العمل ..

وثب متجاوزًا منضدة الفحص ، وهو يتساءل : لماذا لم تعمل رشاشات الإطفاء الآلية ، وانتزع الأسطوانة الكبيرة عن الجدار ، و ...

وفى اللحظة نفسها ، تحطمت نافذة المشرحة ، واندفعت عبرها كرة النار ، ولهيبها الأخضر يتحوّل إلى اللون الأزرق ، وهى تنقضّ نحو هدفها الجديد ..

نحو المقدّم (نور) ..

مباشرة ..

وبمنتهى الرعب ، صرخ الدكتور (حجازى) :

ـ ما هذا ؟! ربّاه ! ما هذا ؟!

أما (نور) ، فقد أدار فوهة أسطوانة الإطفاء بسرعة مدهشة ، وأطلق المادة الرغوية داخلها نحو كرة النار ..

بكل قوته ..

وغمرت المادة الرغوية كرة النار ، وأحاطت بها من كل جانب ..

وانخفضت سرعة الكرة ، على نحو كبير ، و ...

وفجأة ، انتفضت فى عنف ، وألقت عنها كل المادة الرغوية دفعة واحدة ..

ولوهلة ، توقّفت الكرة فى الهواء ، وقد خبت نيرانها ، وبدت أشبه بكرة بلّورية شفافة ، تحوى داخلها سائلًا وردى اللون ..

ثم اشتعلت كلها باللهيب بغتة ..

وبسرعة مذهلة ، تحوّل لون لهيبها من الأخضر إلى الأزرق ، ثم البنفسجى ، ووثب دفعة واحدة إلى الأحمر ..

وعادت تنقض على (نور) ..

بمنتهى الإصرار ..

والشراسة ..

ووثب (نور) جانبًا ، محاولًا تفادى انقضاضة كرة النار ، وانتزع مسدسه الليزرى من حزامه ..

ولكن الكرة النارية كانت تنطلق بسرعة مخيفة ..

وعلى بعد نصف المتر من (نور) ، انفجرت كرة النار ..

وغمر المكان وهج أحمر رهيب ، جعل الدكتور (حجازى) يخفى وجهه بذراعيه ، وهو يصرخ :

- (نور) .. يا إلهى ! (نور) ..

ووسط ذلك الوهج ، سمع صوت ارتطام عنيف بالجدار ، ثم صوت سقوط جسم ما على الأرض بقوة ، فهتف ، وهو يضرب الهواء بذراعه ، وكأنما يحاول إزالة الوهج :

- أين أنت يا (نور) ؟! ماذا أصابك ؟ أين أنت ؟!

كان الوهج يتلاشى فى سرعة ، عندما اقتحمت (نشوى) المكان ، وهى تصرخ بكل لوعة وذعر وهلع الدنيا :

- أبى .

وانتفض جسدها كله بمنتهى العنف ، عندما وقع بصرها عليه ..

على (نور) ، الذى سقط أرضًا ، بتلك الحروق المنتشرة في جسده ، وقد همد جسده واستكان تمامًا ..

وألقت (نشوى) نفسها على جسد والدها ، وهى تهتف :

- أجب يا أبى .. أجب بالله عليك ! من المستحيل أن يكونوا قد ظفروا بك أيضًا ! مستحيل !

وفى تلك اللحظة فحسب ، انطلقت أجهزة الإطفاء الآلية تعمل ، وتفجرت رشاشات المياه فى السقف ، لتغمر قطراتها أجساد الجميع ، وتغمر وجه وجسد (نشوى) ، التى اتسعت عيناها فى رعب هائل ، وهى تحدّق فى والدها ، الذى لحق بالآخرين ، فى تلك الغيبوبة العميقة الغامضة ..

وعلى الرغم من وجود الدكتور (حجازى) ، ومن العشرات من رجال أمن المستشفى العسكرى ، الذين هرعوا إلى المكان ، تفجّر فى أعماق (نشوى) رعب بلا حدود ، وشعرت أنها قد صارت وحيدة ..

وحيدة تمامًا ، فى مواجهة خطر غامض مجهول ..

خطر يشتعل بلهيب مخيف ..

إلى أقصى حد .

* * *

[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى والأخير

(لهيب الرعب)

كرة النار

- ما سر كرات النار، التي تطارد (نور) وفريقه، بمنتهى الإصرار والشراسة؟!
- من ذلك الشخص الغامض، الذي أسقط أفراد الفريق في غيبوبة غامضة عميقة؟
- ترى هل تنكشف كل الأسرار الغامضة؟ أم يسقط (نور) وفريقه ضحية لكرة النار؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه.. من أجل الأرض..

العدد القادم: لهيب الرعب

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

125

الثمن في مصر ٢٠٠ ق
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

مطابع المؤسسة العربية الحديثة